

ملامح التجديد في علم الكلام

إعداد

د/ إمام عبد العاطي الخضراوي
أستاذ العقيدة والفلسفة المشارك - كلية الشريعة والقانون
جامعة جازان

ملامح التجديد في علم الكلام

إمام عبد العاطي الخضراوي
قسم العقيدة والفلسفة – كلية الشريعة والقانون جامعة جازان
البريد الإلكتروني: Ealkhadrawy@jazanu.edu.sa

الملخص :

التجديد في علم الكلام قضية مهمة وحتم لابد منه، ومحور التجديد ينصب حول المنهج و الوسائل، وليس في الأصول والثوابت، مع المحافظة على الدليل الشرعي المنبثق من القرآن والسنة، و لعلم الكلام بمختلف مدارسه أهمية بالغة في الحفاظ على العقائد الدينية الإيمانية، والرد على مختلف الشبهات التي أثيرت حول العقائد الدينية، رغم مناهضة بعض الفقهاء ورجالات الحديث له، لكن هناك العديد من الملاحظات المهمة التي في مجملها تُعد من أهم بواعث التجديد في علم الكلام، والتجديد له ضوابط ومعايير لابد من التقيد بها، وعدم الانحراف عنها قيد أنملة، وبهذا يتحقق الهدف ويصبح له ثمرة، وملامح التجديد كثيرة ومتنوعة منها ما يتعلق بالمفهوم، ومنها ما يتعلق بالمنهج، ومنها ما يتعلق بالمسائل والقضايا، ومنها ما يتعلق باللغة، ومنها ما يتعلق بالهدف والغاية، وهذه الملامح تظهر العديد من النتائج المهمة في تطبيع علم الكلام الجديد مع الواقع، ومجابهة العديد من الفلسفات المادية، ومثل هذه الرؤى والمعالم لا تعني بالضرورة صلاحيتها في كل شيء، وفي كل زمان ومكان، بل الواجب يفرض علينا تتبع الإيجابيات، والبعد عن السلبيات الظاهرة بين الحين والآخر.

الكلمات المفتاحية: ملامح –التجديد–علم الكلام

Features of innovation in theology

Imam Abd al-Ati al-Khadrawi
Department of Belief and Philosophy - College of Sharia and Law, Jazan University
E-mail : Ealkhadrawy@jazanu.edu.sa

Abstract :

Renewal in the science of theology is an important issue and an inevitable necessity, and renewal is in the curriculum or the means, not in the constants, while preserving the legal evidence emanating from the Qur'an and the Sunnah. It has been raised about religious beliefs, despite the opposition of some jurists and scholars of hadith to it, but there are many important observations in their entirety which are among the most important motives for renewal in the science of theology, and renewal has rules and standards that must be adhered to, and not deviated from it within an inch, thus achieving the goal and becoming his The fruit, and the features of renewal are many and varied, some of which are related to the concept, some are related to the curriculum, some are related to issues and issues, and some are related to language, and some of them are related to the goal and purpose. From materialistic philosophies, and such visions and milestones do not necessarily mean their validity in everything, the duty requires us to follow the positives, and distance from the negatives that appear from time to time.

Key Words: Features - Innovation - The Science Of Speech

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، **وبعد:**

تُعد هذه الدراسة من الدراسات التي من الممكن أن تُفيد الواقع، وبخاصة في ظل ما يحدث على مسرح الأحداث من خلافات مذهبية ووجود تيارات متناحرة، وفلسفات مادية ظاهرة، فكان على العلماء والمختصين من تناول هذه المسألة المهمة وتوظيفها توظيفاً عملياً يخدم الواقع ويجمع بين القديم والجديد، في ثوب معاصر، قوامه التجديد المنضبط بضوابط العقل والعلم.

إشكالية البحث: هناك إشكالية مؤداها أن من الباحثين والعلماء المعاصرين من ينادي بالتجديد في علم الكلام، لكن السؤال هل يكون التجديد مطلقاً وبدون ضوابط، أم أن هناك العديد من الضوابط التي لابد من التقيد بها، وبهذا يبقى السؤال هل هذه الظاهرة مقبولة أم مردودة.

أهمية الموضوع:

١- هذا الموضوع يبحث في أشرف علم وهو علم الكلام الذي عده السلف علم أصول الدين.

٢- إبراز المنهجية الجديدة التي لابد من استعمالها في الوقت الراهن.

٣- كيفية مواجهة الفلسفات المادية والرد على الشبهات الحديثة ومواجهة الأفكار الإلحادية.

٤- التصدي لموجة التكفير والإلحاد التي قد تعصف بالعالم الإسلامي.

٥- الإفادة من إبداعات العلماء المعاصرين في هذا الصدد.

٦- المشاركة في إثراء الساحة الفكرية بهذا الجهد المتواضع.

بواعث اختيار الدراسة: من البدهيات أن الفِكَر البحثية لم ولن تأتي من دون وجود دافع محدد، أو عدة دوافع، وهذه الأطروحة سبقتها عدة دوافع، بعضها موضوعي والآخر ذاتي، **أما الأول:** فيرجع لطبيعة الموضوع وأهميته، وبخاصة أن الفكرة جديدة وفي حاجة إلى مزيد من البحث

والدراسة، وفي الواقع أن الفِكَر التي تناولها المتكلمــون - تناولوهــا وفــق طبيعة خاصة بهم، ولون فكري محدد- **وأما الثاني:** فيرجع إلــى الحاجــة لتبيان مثل هذه الموضوعات وتوضيحها، وفق منهج موضوعي مجرد، ومن ثم كان هذا الموضوع الموسوم بـــ (ملامح التجديد في علم الكلام).

أهداف البحث: إبراز ظاهرة التجديد في علم الكلام مبينا ما للتجديــد وما عليه، والمآخذ حول علم الكلام، والضوابط التي لابد من السير عليها.

منهج البحث: لقد اجتهد الباحث أن يسلك في بحثه، منهجاً رئيساً وهو (المنهج التحليلي)، وذلك أثناء تحليل النصوص، حتى يصل إلى هدفه مــن ناحية، ومن ناحية أخرى تركيب ما يتوصل إليه من عناصــر فــي نســق متكامل يبرز المعالم المنهجية المحددة.

ولقد استخدم الباحث أيضاً (المنهج المقارن) أثنــاء عقــد المقارنــات المتعددة بين الماضي والحاضر في الدفاع عن العقيدة ورد شبهات المبطلين، وكذلك استخدمت (المنهج النقدي)، الذي تم عرض أوجه النقد مــن خلالــه، وبخاصة التي وُجهت للفكرة ولأصحابها أياً كان منهجهم وموقعهم، وخطوات البحث ستكون على النحو الآتي:

١- الاعتماد في هذا البحث على المراجع الرئيسة للبحث، إلى جانب بعض المراجع والمصادر الأخرى التي تتعلق ببحث القضية المراد تناولها.

٢- كان الباحث أثناء عرضه المسألة المراد دراستها، يبدأ بعرض الفكــرة كما تناولها أصحابها، من مصادرهم الأساسية الخاصة بهم مــا أمكنــه ذلك، ثم بعد ذلك يتم عرض الفكرة بموضوعية، وكذا تبيــان الموقــف السليم من المسألة.

٣- سار الباحث في دراسته مع الدليل أين وجد؛ لأن منهجية البحث العلمي، تفرض علي الباحث السير في ضوء هذا المنهج العقلي الرصين.

٤- أثناء عرض المسألة التزمت بوضع تصور عــام لكــل مســألة، دون الدخول في نقاش تحليلي صرف، وأخذ ورد، وإبراز الرؤية الســليمة

للمسألة، وفي النهاية يكون التعقيب على ما ذُكِر في شكل رأي ونتيجة للمسألة المراد بحثها، أو للقضية التي تفرعت عنها، أو ترتبت عليها.

تبويب البحث: قسمت هذا البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، على هذا النحو:

المقدمة: فقد تضمنت إشكالية البحث، وأهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وتبويب البحث، وأهدافه، ومنهج الباحث، وكان التمهيد: بعنوان: مفهوم التجديد وحقيقته، والمبحث الأول: تناول فيه الباحث علم الكلام بين الأصالة والمعاصرة، وشمل التعريف بعلم الكلام، وطابعه المنوط به، وموقف العلماء والفقهاء من علم الكلام، وأهم الملاحظات التي تم تدوينها حول علم الكلام، والمبحث الثاني: تناول الباحث فيه بواعث التجديد ومبرراته وضوابطه، والمبحث الثالث: تناول الباحث فيه معالم التجديد في علم الكلام، وشمل المقصود الحقيقي من تجديد علم الكلام، وأبرز وأهم ملامح التجديد، والنتائج المترتبة على التجديد، أما الخاتمة: فقد اشتملت على أهم النتائج التي توصل الباحث إليها من خلال الدراسة، وأتبعت ذلك بثبت المصادر والمراجع.

وبعد: فإن الباحث لا يدّعى أن ما جاء في هذه الدراسة، من آراء، وأفكار وأخذ ورد، هو الحق الذي لا محيد عنه، فما هي إلا محاولات سطرتها يَدُ تريد الوصول للمعرفة المجردة الخالية من التعصب والتجن، المتسمة بالموضوعية العلمية؛ فإن كان فيه من صواب، فذلك من فضل الله وتوفيقه، وهو ما أرجوه، وإن كانت الأخرى فمن نفسي، وحسبي أنني اجتهدت، والكمال لله وحده. وبالله التوفيق،،،،،

الباحث

إمام عبد العاطي الخضراوي

تمهيد: التجديد مفهومه وحقيقته

مفهوم التجديد: ترجع كلمة التجديد في أصلها اللغوي إلى الجيم والدال المضعفة، ولها عدة معان: من أهمها، ما هو ضد القديم، يقال: (تجدد) الشيء صار جديداً، ويقال للرجل إذا لبس ثوباً جديداً: أبل وأجد وأحمد الكاسي، ويقال: بلي بيت فلان ثم أجد بيتاً و (أجده) و (جدده) و (استجده) أي صيره جديداً و (الجديدان) الليل والنهار وكذا (الأجدان)(١)، والجديد ما لا عهد للإنسان به[٢].

ويقول ابن فارس: الجيم والدال أصول ثلاثة الأول العظمة، والثاني الحظ، والثالث القطع، وقولهم ثوب جديد راجع إلى المعنى الثالث، كأن ناسجه قطعه الآن، هذا هو الأصل، ثم سمي كل شيء لم تأت عليه الأيام جديداً، ولذلك سمي الليل والنهار جديدين، والأجدين، لأن كل واحد منهما إذا جاء فهو جديد[٣]

وعليه: فالتجديد في اللغة العربية له عدة معان، منها الجدة التي هي نقيض البلى، والجديد الذي هو ضد القديم، والجديد ما لا عهد للإنسان به، وإعادة ترميم الشيء البالي.

والمعنى الاصطلاحي للتجديد هو نفسه المعنى اللغوي، بيد أن الذي يعنينا في هذا المقام، هو تجديد الفكر بصفة عامة، وتجديد علم الكلام بصفة خاصة؛ فتجديد الفكر يقتضي تخليصه من الشوائب التي عرضت له في صيرورته التاريخية، بحيث لا يتبقى فيه إلا ما يجعله متوافقاً مع ما يستجد من الأحداث والأفكار، مع التمسك بما فيه من مقومات جوهرية لا يصح التفريط فيها[٤]

---

(١) ابن منظور: لسان العرب ١١١/٣، و الرازي: مختار الصحاح٥٤/١

(٢) التجديد في اللغة الإنجليزية من جديد (New) الذي يفيد الدلالة في الأغلب على بعض المذاهب الفلسفية المرتبطة بمذهب سابق يحتويه من بعض الجوانب، أما التجديد: فهو الذي يدل على الظاهرة العقلية الكامنة، ويشير إلى المنهج الشامل (أندريه لالاند: الموسوعة ص ١١٨٤)

(٣) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة /جد، ٥٤/١

(٤) عبد الحميد مدكور: التجديد في العلوم الدينية ص ١٤١

وتبلورت معاني التجديد وفق هذا المضمون في العديد من المعـاني، منها أن التجديد كما يقول العلقمي: إحياء ما اندرس من العمل من الكتـاب والسنة والعمل بمقتضاهما[١]، ويرى السيوطي أن التجديد: تجديـد هدايتـه، وبيان حقيقته وأحقيته، ونفي ما يعرض لأهله من البدع والغلو فيه، أو الفتور في إقامته، ومراعاة مصالح الخلق، وسنن الاجتماع والعمران في شريعته[٢]، ومنها أن التجديد هو تمكين الأمة من استعادة زمام المبادرة الحضارية فـي العالم؛ كقوة توازن محورية، عبر إحكام صلتها من جديـد بسـنن الآفـاق والأنفس والهداية، التي تتيح لها المزيد من الترقـي المعرفـي والروحـي والسلوكي والعمراني[٣].

ومنها أن التجديد يعني التأصيل، أي: إعادة الأمر إلى أصله، وتحقيق الأصلي فيه من غيره، أي إعادته إلـى مصـدره الأول، والتجديـد يعنـي التكميل، أي: تطعيمه بشيء هو به حاجة إليه حتى يكون بمستوى الجدة، وقد يأخذ معنى التنخيل، أي التصفية، مما ليس منه، ولا يليق بقاؤه متصلاً بـه، ويأخذ معنى التشغيل، أي: تفعيل العمل بالأمر المقصود، وتحريك الجوانب المعطلة فيه[٤]، وفي هذه الاتجاه يقول محمد عابد الجابري: "إنها حضـارة جديدة تماماً تتطلب مواجهتها فكراً جديداً تماماً وأساليب جديدة تماما"[٥]

ويقول برهان غليون: التجديد في مجال الفكر أو في مجال الأشـياء على السواء: هو أن تعيد الفكرة أو الشيء الذي بلي أو قدم أو تراكمت عليه من السمات والمظاهر ما طمس جوهره، وأن تعيده إلى حالته الأولى يوم أن كان أول مرة، فتجدد الشيء أن تعيده جديداً وكذلك الفكر[٦]

---

(١) المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير ١٤/١

(٢) السيوطي: الجامع الصغير، المقدمة، ص ٥

(٣) محمد مراح: مفهوم التجديد في الفكر الإسلامي ص١

(٤) الحسان شهيد: نظرية التجديد الأصولي ص ٣٣

(٥) محمد عابد الجابري: وجهة نظر نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر ص ٤٠

(٦) برهان غليون: التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر ص ٧٢

أخلص مما سبق إلى أن التجديد أمر مشروع، وضرورة ملحة، وكل الجهود التي سعت إليه تهدف إلى جعله مسايراً للواقع من دون تغيير أو تبديل للثوابت والقطعيات، وهذا يعني أن تجديد الدين لا يعني مطاوعة الرغبات، وإتاحة العبث بالنصوص والأصول لكل متهجم، كما زعم البعض في الوقت الراهن، وهو مشروع لكل العلوم، ولم ولن يقتصر على علم دون آخر؛ بل إنه يشمل المسائل الشرعية وغير الشرعية، شريطة مراعاة الشروط والضوابط الموضوعية التي تخضع لأحكام الشريعة العامة والشاملة لكل زمان ومكان.

المصطلحات المرادفة لمفهوم التجديد: كثيراً ما يرادف مفهوم التجديد العديد من المفاهيم الأخرى، وهي مفاهيم شاعت لدى العديد من المجددين، ولابد من ذكرها حيث إنها أكثر ارتباطاً بمفهوم التجديد، ومن أهمها ما يلي:

الإصلاح: الذي هو ضد الفساد، كما يقول علماء اللغة، وكما ورد ذكره في القرآن الكريم(١)، وفي الاصطلاح: كانت هناك العديد من الاتجاهات التي تناولت المفهوم، وكان لكل وجهة فيما يرى، بيد أن المراد تعريف الإصلاح الديني في الفكر الإسلامي، الذي هو عبارة عن: حركة قامت من أجل تنقية الفكر الإسلامي مما علق به من شوائب وتصورات خرافية(٢)، ولم يقف مفهوم الإصلاح حول هذا المعنى؛ بل تناول العديد من المعاني منها التمدن، والتطوير، والتغيير والنهضة، وإن كانت هذه المفاهيم تتوافق مع عامة المترادفات المنوطة بالتجديد، وليست للإصلاح فقط، ومن ثم هناك ثمة توافق بين مفهومي التجديد والإصلاح؛ فالأول يرتكز على التغيير بالعودة على ما كان عليه الوضع السابق، أي قبل حصول الفساد في

---

(١) الإصلاح في التفكير الغربي يترجم إلى كلمة (Reform) التي تطلق على التحسينات، أو على إلغاء سوء التصرف، أو إعادة تشكيل، أو البحث عن وضع جديد (راجع: معجم بلاكويل للعلوم السياسية ص ٥٦٩).

(٢) كابان عبد الكريم علي: الإصلاح الديني في المسيحية.... ص ٣٩

الشيء، أما الثاني فإنه يرتكز على إنتاج قراءة جديدة توائم روح العصـــر، دون الخروج عن المرجعية الإسلامية[1]*

التغيير: وهو جعل الشيء على غير ما كان عليه، وفي الاصـــطلاح: كانت هناك العديد من التعريفات لهذا المصطلح، بيد أن المراد منــه: أنـــه ظاهرة اجتماعية يراد بها التعبير عن التحول الجذري الحاصل فـــي مجـــال معين من حيث الشكل والمضمون، وهناك ثمة اختلاف بين التغيير والتجديد، فالأول يمثل قطعية مع الماضي وجميع الثوابت والمرجعيات القديمة في حين الثاني يعد تحولاً على وفق الثوابت التي تفرضها المرجعيات بـــذلك تحـــولاً جزئياً لا كلياً.

التحديث: يرجع في اللغة إلى وجود الشيء بعد العدم، كما يقول ابـــن فارس: " كون الشيء بعد أن لم يكن"[2]، والحديث الجديـــد مـــن الأشـــياء، وبالتالي التحديث يدل على ابتداء الشيء وتجديده، وإضافة أشياء أخرى إليه لم تكن من قبل، ومن معاني التحديث كما يقول الفيومي: "وجدد فلان الأمرَ وأجدّه واستجدّه إذا أحدثه"[3]

التطوير: التغيير أو التحويل من طور إلى طور، وتعني كلمة تطور " تحول من طوره " وتعني كلمة " التطور "التغير التدريجي الذي يحدث فـــي بنية الكائنات الحية وسلوكها، ويطلق أيضاً على " التغير التـــدريجي الـــذي يحدث في تركيب المجتمع أو العلاقات أو النظم أو القيم السائدة فيه، وهناك ثمة فرق بين التغيير والتطوير، التغيير الذي يحدث قد يتجه نحو الأفضـــل أو نحو الأسوأ، وقد يؤدي إلى تحسين أو إلى تخلف، التطوير المبني علـــى أساس علمي يؤدي إلى التحسين والتقدم والازدهار، والتغيير قد يتم في بعض

---

(١) مصطفى خليل خضير: أطروحات التجديد في الفكر ص ٣٥، * ومصطلح الإصلاح المرادف للتجديد قام به العديد من المفكرين في المسيحية أمثال مارتن لوثر ورفاقه، وفي الإسلام أمثال جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده من بعده، ومحمد إقبال، ومالك بن نبي، والشيخ مصطفى عبد الرازق، ووحيد الدين خان، وغيرهم.

(٢) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ص ٣٦

(٣) الفيومي: المصباح المنير ص ٩٢

الأحيان بإرادة الإنسان، وقد يتم في أحيان أخرى بدون إرادة الإنسان، والتطوير لا يتم إلا بإرادة الإنسان ورغبته الصادقة؛ فإذا لم تتكون الإرادة نحوه وتتوفر الرغبة فيه فلا يمكن له أن يرى النور، أو يظهر إلى حيز الوجود، والتغيير جزئي ينصب على جانب معين أو نقطة محددة، والتطوير شامل ينصب على جميع الجوانب للموضوع ، أو للشيء المراد تطويره.

ولابد من إدراك حقيقة مهمة ربما يعمل لها البعض ألف حساب كما يقولون، باعتبار أن مفهوم التجديد من المفاهيم التي سرعان ما يتحسس منها البعض، والبعض الآخر يعترض على المفهوم لمجرد الاعتراض، ويقوم بتوجيه اللوم والعتاب أحياناً لكل من يسلك هذه المسالك، وإذا كان الأمر كذلك فلابد من تبيان هذا المفهوم وموقف الإسلام منه في عجالة.

إن غاية الإسلام العظمى هو النهوض بالأمة الإسلامية في الدين والعلم، وهو بهذا يكفل لهم مصلحتي الدنيا والآخرة، لا سيما وأن من أهم ميّزات الإسلام وخصائصه؛ أنّه دين متجدّد، تواكب نصوصه الشّرعيّة باستمرار ما يستجدّ في الحياة من أمورٍ وأحداث، وهي ميزة لا توجد في غيره من الأديان؛ فهو طوق النجاة الذي أرسله الله لعباده كلما أشرفوا على الغرق والانهيار والتفرُّق.

واستند العلماء والفقهاء في ذلك إلى القرآن الكريم، والسنة النبوية، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، وقال عز وجل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا"(١).

(١) أخرجه أبوداود في سننه، كتاب: الملاحم، باب: ما يذكر في قرن المائة، ١٠٩/٤، والطبراني في المعجم الأوسط، باب: من اسمه محمد،٣٢٣/٦، والحاكم في المستدرك، باب: أما حديث أبي عوانة،٥٦٧/٤.

والمعنى: أن الله تعالى يقيض لهذه الأمة على رَأس كل مائَة سنة، من الْهِجْرَة أَو غَيرهَا رجلاً أَو أَكثر، يجدّد لَهَا دينهَا، أَي يبين السّنة من الْبِدْعَة ويكثر العلم، وينصر أهله، ويكسر أهل البدعة ويذلهم، قالوا: ولا يكون إلا عالماً بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة، قال ابن كثير: قد ادعى كل قوم في إمامهم أنه المراد بهذا الحديث، والظاهر أنه يعم جملة من العلماء من كل طائفة وكل صنف من مفسر ومحدث وفقيه ونحوي ولغوي وغيرهم [(١)].

يقول السيد رشيد رضا: إنما كان المجددون يبعثون بحسب الحاجة إلى التجديد، لما أُبلى الناس من لباس الدين وهدموا من بنيان العدل بين الناس، فكان عمر بن عبد العزيز مجدداً في القرن الثاني، لما أُبلى قومه بنو أمية واخلقوا، ولما مزقوا بالشقاق وفرقوا، وكان الإمام أحمد بن حنبل مجدداً في القرن الثالث لما أُخلق بعض بني العباس في لباس السنة وإرشاد سلف الأمة باتباع ما تشابه من الكتاب ابتغاء الحكمة وابتغاء تأويله، وتحكم الآراء النظرية في صفات الله، وما ورد في عالم الغيب بالقياس على ما يتعارض في عالم الشهادة، وكان الشيخ أبو الحسن الأشعري مجدداً في القرن الرابع بهذا المعنى، وحجة الإسلام أبو حامد الغزالي مجدداً في القرن الخامس، وأول السادس لما أشرقت نزعات الفلاسفة وزندقة الباطنية، والإمام أبو محمد على بن حزم الظاهري في القرن السادس لما سحقت الآراء من فقه النصوص الشرعية، وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم مجددين في القرن السابع وأول الثامن لجميع ما مزقت البدع الفلسفية والكلامية والتصوفية والإلحادية من حُلل الكتاب والسنة السنية في جميع العلوم الدينية وحسبنا هؤلاء في التجديد الديني العام . [(٢)]

تبين مما سبق أن الإسلام لا يُنكر التجديد والتطوير والتحديث، فيما يقبل التجديد أي في المتغيرات لا في الثوابت، والتجديد لا يمكن أن يكون بيد

---

(١) المناوي: فيض القدير بشرح الجامع الصغير ٢/٢٨١

(٢) محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، المقدمة، ص٦.

فئة دون أخرى، لأنه لو كان كذلك لكان من التعصب الممقوت، يقول الشيخ عبد المتعال الصعيدي: " ولا يخفى أن من تجرد المجددين عن ذلك التعصب الممقوت، ويصير إلى تلك الغاية السامية من التجديد، لا يضره بعد هذا أن يكون سنياً أو غير ذلك ...لأنه في دعوته إلى التجديد ينسى مذهبه الديني، ولا ينظر إلا إلى أنه مسلم لا غير.."(١)

وأن المجدد يتحدد دوره ويكون فاعلاً إذا أصاب المسلمين الوهن والضعف في عقائدهم وأفكارهم وأعمالهم وسلوكهم؛ فيصقلها ويطهرها ويزيل كل الشبهات حول الإسلام، ويعرضه صافياً، نقياً، وبصورة متقدمة تقبلها عقول عصره وتتضمن جميع مطالب العصر وحلول جميع مشاكله.

بهذا المفهوم تبين أن التجديد "ينحصر في أمرين: الأول: إحياء ما دُرس من معالم الدين، وترميم ما توهن من لبناته بسوء الاستعمال، وإزاحة ما أقيم في طريق مسيرته البناءة للحياة البشرية الصحيحة الكريمة من عوائق، أي: إعادة الدين إلى رونقه الأصلي، وحالته النفسية فكراً وعملاً، كما كان جديداً في أوله"(٢)

وبالتالي: فإن التجديد المقبول في الدين لا يعني التمييز أو التحول عن أصول الدين وفروعه، لأن هذا لا يسمى تجديداً؛ بل يسمى انحلالاً وتفككاً وذوباناً وموتاً (٣)، وظهر ضمناً موقف الإسلام من التجديد والمجددين.

والسؤال الطبعي: ما هو مفهوم علم الكلام وحقيقته، وما هي المبررات التي ساقها العلماء للتجديد، وما هي القضايا التي لابد أن تدرس بعين الواقع ويلزمها التطوير والتحديث، كل هذا وغيره سيجاب عنه في المبحث القادم بإذن الله تعالى.

---

(١) عبد المتعال الصعيدي: المجددون في الإسلام ص ١٥

(٢) مصطفى الزرقا: الإسلام وتطورات المجتمع ص ٥٣

(٣) مصطفى التارزي: الاجتهاد والتجديد في التشريع الإسلامي ص ٥١

المبحث الأول: علم الكلام بين الأصالة والمعاصرة

مفهوم علم الكلام:[1] تنوعت تعريفات علم الكلام حسب تعدد وجهات نظر العلماء والباحثين حول تعريف هذا العلم، ومن أشهر هذه التعريفات ما يلي:

لقد عرفه الإيجي بقوله: "هو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه"[2]، والمراد بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل، وبالدينية المنسوبة إلى دين محمد؛ فإن الخصم وإن خطأناه لا نخرجه من علماء الكلام

وعرفه الفارابي بقوله: "علم الكلام ملكة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة، وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل[3]

وعرفه ابن خلدون بقوله: "هو علم يتضمَّن الحِجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والردَّ على المبتدِعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السُّنَّة"، ويقول عن موضوعه: "فموضوع علم الكلام،

(١) لهذا العلم العديد من المسميات: منها علم أصول الدين، وقد عنون بعض المؤلِّفين أعمالهم بهذا الاسم، مثل الجويني (٤٧٨هـ) في كتاب "الشامل من أصول الدين"، والرازي (٦٠٦هـ) في كتاب "المحصَّل في أصول الدين"، كما سُمِّي "الفقه الأكبر"، ونُقلت هذه التسمية عن أبي حنيفة؛ لأنَّ النظر في أحكام الدين وعقائده كان يُسمَّى فقهاً، ثُمَّ خُصَّت الاعتقادات باسم الفقه الأكبر، فيما خُصَّت الأحكام العملية بالفقه الأصغر، وسمي بعلم النظر والاستدلال، وعلم التوحيد، وقد جعل الشيخ محمد عبده (١٣٢٣هـ) هذا الاسم عنواناً لكتابه في العقيدة "رسالة التوحيد"، وقبل ذلك ألَّف الماتريدي (٣٣٣هـ) كتاباً في الكلام سمَّاه: "علم التوحيد"، وعبَّر عنه بعضهم بـ: "علم الذات والصفات"؛ حيث جعل الذات المقدَّسة وصفاتها هي ركيزة هذا العلم، وكل مباحثه ترجع إليها، وعبَّر عنه آخرون بعلم "العقائد"؛ ووجه ذلك أنَّه العلم الذي يتكفَّل بمعرفة العقائد الإسلامية، والبرهنة عليها، فأطلق الجويني على كتابه: "العقائد النظامية"، والنسفي (٦٤٢هـ): "العقائد النسفية"، وعضد الدين الإيجي (٦٥٧هـ): "العقائد العضدية" ، وقبل هؤلاء سمَّى الطحاوي (٣٢١هـ) كتابه الكلامي: "العقيدة الطحاوية"إلخ.

(٢) الإيجي: المواقف ص ٧

(٣) الفارابي: إحصاء العلوم ص ١٦

عند أهله، إنَّما هو العقائد الإيمانية، بعد فرضها صحيحة من الشــرع؛ مــن حيث يمكن أن يُستدل عليها بالأدلة العقلية، فترفع البدع وتــزول الشــكوك والشُّبه عن تلك العقائد"(١).

وعرفه الجرجاني بأنه: علم يبحث فيه عن ذات الله تعــالى وصــفاته وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الإسلام(٢).

وقال سعد الدين التفتازاني: "الكلام هو العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية" (٣)، وقال الكمال بن الهمام: "والكلام معرفة النفس ما عليهــا مــن العقائد المنسوبة إلى دين الإسلام عن الأدلة علماً وظناً في البعض منها"(٤)

ويقول الشيخ محمد عبده في تعريفه: " هو علم يبحث فيه عن وجــود الله، وما يجب أن تثبت له من صفات، وما يجوز أن يوصف به، وما يجب أن ينفى عنه، وعن الرسل لإثبات رسالتهم، وما يجب أن يكونوا عليه، وما يجوز أن ينسب إليهم، وما يمتنع أن يلحق بهم (٥)

تبين فيما تقدم من هذه التعريفات أنها في جملتها قد شــكلت منهجــاً واضحاً لهوية علم الكلام وأهدافه، فضلاً عن تقارب هذه التعريفات واتفاقها أحياناً في الهدف والغاية؛ لذا فبعض هذه التعريفات بينت في وضوح وظيفة المتكلم التي تضمنت الرد على المبتدعين المنحرفين في الاعتقاد، وبعضــها الآخر بين أن هذا العلم صناعة؛ فهو ليس علماً فقط إنما هو فن الدفاع عــن القضايا الإيمانية، وعلى العموم كل تعريف من التعريفات يُبرز موضوع هذا العلم ومهمته بدقة فائقة، والتي تتضمن النصرة للكتاب والسنة، دون التعصب لمذهب على حساب مذهب آخر، وكذا أن الغاية من علم الكلام فضلاً عــن

(١) ابن خلدون: المقدمة ١٠٦٩/٣
(٢) الجرجاني: التعريفات ص ٨٧
(٣) التفتازاني: تهذيب الكلام ص ٨
(٤) الكمال بن الهمام: المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة، ص ١٠
(٥) محمد عبده: رسالة التوحيد ص ٤

موضوعه الدفاع عن العقيدة ورد شبه المخالفين، وهذا يتطلب الاطلاع على شبهات الخصم والتمكن منها ودراستها دراسة وافية.

وسمي هذا الفن بعلم الكلام؛ للعديد من الأسباب، مرجعها في النهاية إلى أنَّ عنوان مباحثه كان قولهم: الكلام في كذا وكذا، ولأنَّ مسألة الكلام كانت أشهر مباحثه، وأكثر نزاعاً وجدالاً، ولأنَّه يُورث قدرة على الكلام من تحقيق الشرعيات وإلزام الخصوم، كالمنطق للفلسفة[1].

ويرى الشيخ مصطفى عبد الرازق أن هناك احتمالين: الأول: أنَّ تسمية الكلام جاءت من كون "الكلام ضد السكوت، والمتكلِّمون كانوا يقولون حيث ينبغي الصمت اقتداءً بالصحابة والتابعين الذين سكتوا عن المسائل الاعتقادية لا يخوضون فيها"، الثاني: أنَّ الكلام مقابل الفعل "كما يُقال: فلان قوَّال لا فعَّال، والمتكلِّمون قوم يقولون في أمور ليس تحتها عمل، فكلامهم نظري لفظي، لا يتعلَّق به فعل، بخلاف الفقهاء الباحثين في الأحكام الشرعية العملية"[2].

ويرى حسن حنفي" أن اعتبار الكلام موضوعاً للعلم تجاوز عن موضوع العلم ذاته؛ فالكلام أحد موضوعات العلم وليس موضوعه الأوحد، ولا يمكن أخذ أحد أجزائه واعتباره موضوع العلم كله، وهو التوحيد أو العقائد أو الدين، كما أن الكلام ذاته موضوع جزئي من موضوع أشمل وأعم من موضوع الصفات[3]

ويتضح مما سبق أن علم الكلام-علم- يبحث في العقائد بالأدلة العقلية والرد على المخالفين، وموضوعه هو ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله، فضلاً عن تمكينه من الأدلة التي تحمي العقيدة من الزيغ، وتدفع عنها شبهات الملحدين والمارقين؛ فهو علم يثبت العقيدة، ويذود عنها بالأدلة السمعية

(١) التفتازاني: شرح العقائد النسفية ص ١٠.

(٢) مصطفى عبد الرازق: تمهيد لتاريخ الفلسفة ص ٣٢٣

(٣) حسن حنفي: من العقيدة إلى الثورة٥٣/١

والبراهين العقلية، وأن المنهج المتبع في ذلك هو منهج الجدل، وهو منهج قائم على إسكات الخصم وإفحامه، ويمكن القول بأن علم الكلام يقوم على إثبات العقيدة الدينية عن طريق الأدلة العقلية، فهو بذلك يقوم بتوضيح أصول العقيدة وشرحها وتدعيمها بالأدلة العقلية وبذلك يستكمل المؤمن نوران: نور العقل ونور القلب، وتزول الشكوك والوساوس التي قد تعتريه[١].

وقد مرَّ علم الكلام بمراحل تاريخيّة متعدّدة، وفي بعضها شهد ازدهاراً عظيماً، وفي بعضها الآخر ركوداً، فيما نجد قروناً أُخر يبدو فيها علم الكلام قد شهد تطوّراً كبيراً واتّساعاً عظيماً في مباحثه ومناهجه، لاسيّما في القرون الهجريّة الثمانية الأولى.

الطابع العام لعلم الكلام: لا شك أن لعلم الكلام طابعه المنوط به، ومن الممكن أن نطلق عليه أنه علم نظري وعملي في ذات الوقت، حيث إنه يعطي الإنسان القدرة على إقامة الحجج العقلية، لتثبيت العقيدة الدينية، بيد أنه لا يقف عند هذا الجانب فحسب؛ بل إنه يقوم باستخدام هذه الحجج للدفاع عن الدين ضد خصومه من أصحاب الديانات الأخرى، وفي هذا الجانب تتجلى فائدته العلمية[٢].

وهذا يعطينا العديد من الملامح التي تُوضح الطابع المنوط بعلم الكلام، والذي يقوم على المناظرة الجدلية، التي تجمع بين النقل والعقل، وهذا ما حدا بأحد الباحثين أن يقرر في جلاء: " أنه لم يأخذ أي مجال علمي إسلامي بمنهج المناظرة الجدلي مثلما أخذ به علم الكلام، هذا العلم الذي قام على تواجد العقائد، سواء أكان بين أصحاب الملة الواحدة أو بين أصحاب الملل المختلفة"(٣)، ويقوم علم الكلام على بحث ودراسة مسائل العقيدة الإسلامية بإيراد الأدلة وعرض الحجج على إثباتها، ومناقشة الأقوال والآراء

(١) عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين، ١/١٤.

(٢) منى أبوزيد: الفكر الكلامي عند ابن خلدون ص ٢٩

(٣) عبد الرحمن طه: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص ٢٩

المخالفة لها، وإثبات بطلانها، ودحض ونقد الشبهات التـي تثـار حولهـا، ودفعها بالحجة والبرهان.

وهذا المنهج العقلي الجدلي القائم على المجادلـة والمنـاظرة لأجـل الوصول إلى الحقيقة وإبطال ما عداها، وقد ذكر القرآن الكريم هذا المـنهج الجدلي في قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلاَّ بِـالَّتِي هِـيَ أَحْسَـنُ ﴾[العنكبوت: ٤٢]، يقول الجويني" :النظر الموصل إلى المعـارف واجـب ومدرك وجوبه بالشرع، وجملة أحكام التكليف متلقاة من الأدلـة السـمعية والقضايا الشرعية"، في حين ترى المعتزلة "أنّ العقل يتوصـل إلـى إدراك الواجبات ومن جملتها النظر فيعلم وجوبه عندهم عقلاً"، ويستدل الجـويني على وجوب النظر من جهة الشرع بإجماع الأمة على وجـوب معرفـة الله تعالى واستبان بالعقل أنه لا يتأتى الوصول إلى اكتساب المعارف إلا بالنظر، وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب.(١)

ولما كان النظر واجباً، وأنه لا تعارض بينه وبين النقل؛ فإننـا نجـد المتكلمين قد أقاموا أدلتهم على أساس العقل والنقل، وأصبح إقامة الدليل ركناً أساسياً من منهجهم، ويرى المتكلمون أن الحق لا ينال إلا بالـدليل وإقامـة الحجة، فعن طريقهم يعرف الحق ويتوصل إليه(٢)، والدليل هو ما يراد بـه إثبات أمر، أو نقضه، وقد يستعمل بمعنى الحجة.(٣)

هذا بالنسبة إلى الذين يريدون الوصول إلى الحقيقة، أما غيرهم مـن الذين كان قصدهم من الجدل والسفطة والمغالطة، وبلبلة الأفكار، والتشكيك في العقيدة الدينية، فالواجب استخدام الأسلوب المناسب معهم في الجدل، وما يتطلبه من قوة حجة، وبرهان، لافتضاح أمرهم وكشف معايبهم، قال تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾، أي لا تجادلهم بالحسني والرفق واللـين، وإنمـا

(١) الجويني: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، ص: ٨

(٢) الماتريدي: كتاب التوحيد، ص: ٣٠٥.

(٣) مراد وهبة وآخرين: المعجم الفلسفي، ص: ٩٥.

جادلهم بسلاح مثل سلاحهم، ولا يفل الحديد إلا الحديد [١]، وهـذا الطـابع الكلامي كان له أكبر الأثر في الدفاع عن الإسلام ضد الهجمات الشرسة التي أرادت التشكيك في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يقول الجـاحظ: " لـولا مكان المتكلمين لهلكت العوام واختطفت واسترقت"[٢]

وعليه: فقد تبين من خلال هذه السمات الخاصة بطابع علم الكلام، أن هناك وظيفتين لعلم الكلام: الوظيفة الأولى: تبيان العقيـدة الصـحيحة مـع الاستدلال عليها ودفع شبه المبطلين، الوظيفة الثانية: مناقشة الآخر وتبيـان زيف عقائده الباطلة وإقناعه، ولعل هذا كله قد اتضح أثناء التعريفات الواردة لعلم الكلام والتعليق عليها، حيث إنها بينت فـي وضـوح غايتـه وثمرتـه وموضوعه.

المآخذ الواردة على علم الكلام: لا شك أن لعلـم الكـلام بمختلـف مدارسه واتجاهاته، أهمية بالغة في الحفاظ على العقائد الدينيـة الإيمانيـة، والرد على مختلف الشبهات التي أثيرت حول العقائد الدينية، ومن ثم تبـوأ علم الكلام مكانة متميزة في تاريخ العلوم مقارنة مـع غيـره مـن العلـوم الإسلامية، يقول الإيجي في فضل هذا العلم ومكانته: " أنـه أرفـع العلـوم وأعلاها وأنفعها وأجداها وأحراها بعقد الهمة بها، وصرف الزمان إليها، لأنه المتكفل بإثبات الصانع وتوحيده وتنزيهه عن مشابهة الأجسام...وإثبات النبوة التي هي أساس الإسلام وعليها مبنى الشرائع والأحكام، وبها يترقـى فـي الإيمان باليوم الآخر من درجة التقليد إلى درجة الإيقان"، وبه" حفظ قواعـد الدين عن أن تزلزلها شبه المبطلين، وأنه يبنى عليه العلوم الشرعية، فإنـه أساسها وإليه يؤول أخذها واقتباسها"[٣]

---

(١) مبارك حسين: علم التوحيد في ضوء العقل والنقل ص ٨، وانظر: محمد يوسف موسي: الاسـلام وحاجة الإنسانية إليه ص ١٤.

(٢) الجاحظ: الحيوان ٤/٢٩٨

(٣) الإيجي: المواقف ص ٨

بيد أن هذا كله، لا يجعل هذا العلم بمنأى عن القدح، وهذا ما حــدا بطائفة من العلماء أن نادت بمنع الخوض في علم الكلام كراهة أو تحريماً، مثلما هو مذهب بعض الفقهاء وأهل الحديث الذين عللوا ذلــك بأنــه مثــار للشبهات والفتن، وطريق للابتداع، ومن أبرز من ذهب إلى هــذا الــرأي: الأئمة الأربعة؛ أبو حنيفة: الذي حظر على طلابه الانخــراط فــي الكــلام، واصفاً أولئك الذين يمارسونه بأنهم "المتخلفين منها"(١)، ومالــك بــن أنــس القائل: "إياكم والبدع، قيل: يا أبا عبد الله ما البدع؟، قال: أهل البدع الــذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته، وكلامه، وعلمه، وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة وتابعيهم"(٢)

والشافعي الذي قال: "إياكم والنظر في الكلام فإن الرجل لو سئل عن مسألة الفقه فأخطأ فيه كان أكثر شيء أن يضحك منه عليه، ولو سئل عــن مسألة في الكلام فأخطأ فيها نسب إلى البدعة، لقد رأيت أهل الكــلام يكفــر بعضهم بعضاً، ورأيت أهل الحديث يخطئ بعضهم بعضاً، والتخطئة أهــون من الكفر"(٣)، وقال أحمد: "ولست بصاحب كلام ولا أرى الكلام في شــيء من هذا، إلا ما كان في كتاب الله تعالى، أو في حديث عن النبي صــلى الله عليه وسلم، أو عن أصحابه، أو عن التابعين، فأما غير ذلك فإن الكلام فيــه غير محمود"(٤)

لكن المثير للدهشة والاستغراب أن علم الكلام لم يسلم من الفلاســفة أنفسهم، حيث إنهم يعزفون عن المبحث الكلامي، ويرونه عــديم الجــدوى، ضعيف القاعدة النظرية، فهو مبحث جدلي، خطابي، يعوض لــدى العامــة النقص في الملكات البرهانية، وأخطر ما في علم الكلام بالنسبة للفلاسفة هو أنه وإن تعلق بالإلهيات، إلا أنه يقحم نظره في المســائل التــي يحتكرهــا الفلاسفة لأنفسهم كالعالم والنفس والجوهر والأعراض...

---

(١) المكي: مناقب أبي حنيفة ص ١٨٣

(٢) عبد الله الأنصاري: ذم الكلام وأهله ص ١٨٥

(٣) الرازي: مناقب الإمام الشافعي ص ٦٠

(٤) الإمام أحمد: المسائل والرسائل ٣٩٨/٢

يقول ابن رشد: "فصار الناس بسبب هذا التشويش والتخليط فرقتين: فرقة انتدبت لذم الحكماء والحكمة، وفرقة انتدبت لتأويل الشرع وروم صرفه إلى الحكمة، وهذا كله خطأ؛ بل ينبغي أن يقر الشرع على ظاهره ولا يصرح به للجمهور؛ لأن التصريح بذلك هو تصريح بنتائج الحكمة لهم، دون أن يكون عندهم برهانا عليها... وأما إخلاله بالشريعة فمن جهة إفصاحه فيه بالتأويل الذي لا يجب الإفصاح به. وأما إخلاله بالحكمة فلإفصاحه أيضا بمعان فيها، لا يجب أن يصرح بها إلا في كتب البرهان"(١)

(١) ابن رشد: مناهج الأدلة في عقائد الملة ص ٧٥

* لم تقف مناهضة علم الكلام عند الفقهاء الأربعة، وبعض أهل الحديث، بل من المتكلمين من ناهض علم الكلام، وحذر منه، فالأشعري (ت ٣٢٤ هـ): قال في كتابه (الإبانة) "قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها، التمسّك بكتاب الله ربنا عز وجل، وبسُنّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وما روي عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل – نضّر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته – قائلون، ولما خالَف قولَه مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحقَّ، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغَ الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم، وكبير مفهم"(١)، وقال: "لو استقبلت من أمري ما استدبرتُ، ما اشتغلت بالكلام" (السيوطي: صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ص ١٨٠)، وقال الجويني(ت ٤٧٨ هـ):" يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ إلى ما بلغ ما اشتغلت به، وقال عند موته: لقد خضت البحر الخضم، وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت في الذي نهوني عنه، والآن فإن لم يتداركني ربي برحمته، فالويل لابن الجويني، ها أنا أموت على عقيدة أمي – أو قال – على عقيدة عجائز نيسابور(١)، وقال: "قرأت خمسين ألفاً في خمسين ألفاً، ثم خليت أهل الإسلام بإسلامهم فيها، وعلومهم الظاهرة، وركبت البحر الخضمَّ، وغُصت في الذي نهى أهل الإسلام، كل ذلك في طلب الحق، وكنت أهرب في سالف الدهر من التقليد، والآن فقد رجعت إلى كلمة الحق، عليكم بدين العجائز، فإن لم يدركني الحق بلطيف بره، فأموت على دين العجائز [المقصود بذلك الفطرة]، ويختم عاقبة أمري عند الرحيل على كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله، فالويل لابن الجويني" (الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤٧١/١٨)، وقال الرازي (ت ٦٠٦ هـ) : في آخر عمره: "لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتُها تشفي عليلًا، ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريق القرآن، أقرأ في الإثبات :﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾]طه: ٥[، ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ ﴾ [فاطر: ١٠]، وأقرأ في النفي :﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١]، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي"(الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥٠١/٢٠)

وعلى النقيض هناك من دافع عن هذا العلم وأيده، وعدّه من أشرف العلوم وأعلاها منزلة، وأقواها حجة ودليلاً، وهو رأس العلوم الشرعية[1]، ولذلك أيده الكثير من العلماء والفقهاء وغيرهم، يقول النووي: "قال العلماء: البدعة خمسة أقسام واجبة ومندوبة ومحرمة ومكروهة ومباحة فمن الواجبة نظم أدلة المتكلمين للرد على الملاحدة المبتدعين وما أشبه ذلك"[2]، وقال ابن حجر: " الذي صرح به أئمتنا أنه يجب على كل أحد وجوبا عينيا أن يعرف صحيح الاعتقاد من فاسده، ولا يشترط فيه علمه بقوانين أهل الكلام لأن المدار على الاعتقاد الجازم ولو بالتقليد على الأصح، وأما تعليم الحجج الكلامية والقيام بها للرد على المخالفين فهو فرض كفاية، اللهم إلا إن وقعت حادثة وتوقف دفع المخالف فيها على تعلم ما يتعلق بها من علم الكلام أو آلاته فيجب عينا على من تأهل لذلك تعلمه للرد على المخالفين"[3]

وقال: شمس الدين الرملي الشافعي: "التوغل في علم الكلام بحيث يتمكن من إقامة الأدلة وإزالة الشبه فرض كفاية على جميع المكلفين الذين يمكن كلا منهم فعله، فكل منهم مخاطب بفعله لكن إذا فعله البعض سقط الحرج عن الباقين، فإن امتنع جميعهم من فعله أثم كل من لا عذر له ممن علم ذلك وأمكنه القيام به"[4]، وقال أبو حنيفة: "وقد ابتلينا بمن يطعن علينا، ويستحل الدماء منا، فلا يسعنا أن لا نعلم من المخطئ منا ومن المصيب، وأن نذب عن أنفسنا وحرمنا، فمثل صحابه النبي الكريم كقوم ليس بحضرتهم من يقاتلهم فلا يتكلفون السلاح، ونحن قد ابتلينا بمن يقاتلنا فلا بد لنا من السلاح "[5].

---

(١) البيضاوي: طوالع الأنوار من مطالع الأنظار ص ٥٥

(٢) النووي: شرح صحيح مسلم ١٥٤/٦

(٣) ابن حجر: الفتاوى الحديثة ص ٢٧

(٤) شمس الدين الرملي: غاية البيان ص ٢٠

(٥) أبو حنيفة: العالم والمتعلم ص ٣٤

وقال الغزالي: "ولم يكن شيء منه – علم الكلام– مألوفا في العصر الأول وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ولكن تغير الآن حكمه إذ حدثت البدعة الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة ونجت جماعة لفقوا لها شبهاً ورتبوا فيها كلاماً مؤلفاً؛ فصار ذلك المحذور بحكم الضرورة مأذوناً فيه؛ بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذي يقابل به المبتدع إذا قصد الدعوة إلى البدع"،[١] وقال أيضاً: "فإذن علم الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخيلات المبتدعة"[٢]

وبعد عرض وجهتي النظر بين أنصار علم الكلام وخصومه، تبين أن الفريق الأول قد تشدد وأفرط فيما ذهب إليه من حكمه على علم الكلام، وربما لم يقصد أصحاب هذا الرأي علماء الكلام من أهل السنة والجماعة، وإنما قصد بكلامه الصنف المارقين من المتكلمين الذين شذت آراءهم ومذاهبهم عن جادة الصراط، والذين خالفوا الكتاب والسنة، ومن سلك مسلكهم في هذا المنهج، والذين سموا بأهل الكلام المذموم،" كلام أصحاب الأهوية وما يزخرفه أرباب البدع المردية، فأما الكلام الموافق للكتاب والسنة الموضح لحقائق الأصول عند ظهور الفتنة فهو محمود عند العلماء ومن يعلمه، وقد كان الشافعي يحسنه ويفهمه، وقد تكلم مع غير واحد ممن ابتدع، وأقام الحجة عليه حتى انقطع"[٣] أما هؤلاء الذين أيدوا هذا العلم وناصروه، نقول لهم: الحق أن هناك العديد من الملاحظات المهمة التي لابد أن نتداركها إذا ما أردنا لهذا العلم التجديد والتحديث والتطوير، ومن بين هذه الملاحظات المهمة ما يلي:

أولاً: التناقض والتعارض: المتأمل في كتابات المتكلمين يجد دعوتهم إلى النظر العقلي، قد تكون أحياناً دعوة إلى التناقض والتعارض، وذلك

(١) الغزالي: إحياء علوم الدين ٣٨/١

(٢) المصدر السابق ٣٩/١

(٣) ابن عساكر: تبيين كذب المفترى ص ٣٣٩

بسبب تعصب كل صاحب رأي برأيه، وعدم القبول الحق من الآخر مهما كان رأيه ومهما كانت حجته، وهذا ما ذكره الغزالي على أنه من تناقضاتهم الشنيعة، وذلك في قوله: " وأما التناقض فهو أن كل واحد من النظار يوجب النظر، وأن لا ترى في نظرك إلا ما رأيت، وكل ما رأيته حجة، وأي فرق بين من يقول: قلدوني في مجرد مذهبي، وبين من يقول: قلدني في مذهبي ودليلي جميعاً، وهل هذا إلا التناقض؟"(١)، ومما يترتب على هذا الأمر، وخطره العظيم" أن الإيمان المستفاد من الدليل الكلامي ضعيف جداً، وأنه مشرف على الزوال بكل شبهة"(٢).

وهذا ما اتفق عليه غير واحد من العلماء كالغزالي في المنقذ من الضلال، والفارابي في إحصاء العلوم، وابن باجة في تدبير المتوحد، وابن رشد في مناهج الأدلة في عقائد الملة، وهو متفق تمام الاتفاق كذلك مع الصوفية الذين يعتمدون في تحصيل اليقين على التوجه إلى الله تعالى بالعبادة والذكر، وتفريغ القلب من الشواغل، وانتظار ما يرد عليه من الفيوضات والإلهام والعلم اللدني الذي يتصف بالوصافة واليقين(٣)

فضلاً عن ذلك الإقصاء المتبادل بين الفرق سواء في التبديع، والتضليل، والتكفير، ولعل الخوف من الوقوع في الإقصاء هو ما جعل أتباع كل فرقة لا يخرجون عن الأصول الكبرى التي أسسها أئمتهم؛ بل ظلوا يكررون ما جاء عندهم بتفصيل إجماله، أو إجمال تفصيله؛ فكثرت الحواشي والمختصرات في حذر تام من التجديد في المسائل؛ بل الدلائل.

ثانياً: البُعد عن المنهجية الحقيقية: ربما يصل الحال بين الفرق الكلامية أحياناً إلى التفرقة والتباعد والانقسام، مما يؤدَّى إلى البُعد عن المنهجية في كثير من موارد النزاع بين المتكلِّمين؛ حيث كفَّر بعضهم بعضاً،

(١) الغزالي: فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ص ٧

(٢) الغزالي: المنقذ من الضلال ص ١٢٤

(٣) الغزالي: إحياء علوم الدين ١/٣٥

وأُلِّفت كتب تحمل في ثناياها هجوماً وتجريحاً أكثر ممَّا تحمل نقاشاً منهجياً علمياً، وانعكس ذلك حتى في عناوين بعض الكتب، مما أدى إلى ضعف منطق الحجاج الكلامي، وهذا ما ذكره الغزالي في قوله: " أن كل فرقة تكفر مخالفها، وتنسبه إلى تكذيب الرسول الكريم؛ فالحنبلي يكفر الأشعري، زاعماً أنه كذب على الرسول في إثبات الفوق لله تعالى، وفي الاستواء على العرش، والأشعري يكذبه، زاعماً أنه كذب على الرسول في جواز رؤية الله تعالى، وفي إثبات العلم والقدرة والصفات له، والمعتزلي يكفر الأشاعرة زاعماً أن إثبات الصفة تكثير للقدماء، وتكذيب الرسول في التوحيد"(١).

ثالثاً: الاستغراق في النظريات البعيدة عن الواقع: بحيث صار المتكلِّم ينحت مسائله من داخل علمه، ومن مخزون فكره، بدل الرجوع إلى الواقع ومعالجة قضاياه، لبيان موقف الإسلام منها، ولذلك نجد أنَّ فكرةً ما ربَّما شغلت عقول المتكلِّمين لسنوات، وذُكِرت في أكثر كتبهم الكلامية، رغم عدم وجود مَن يُؤمن بها، وهذه الأمور وغيرها دعت كثيراً من الباحثين، إلى الإحساس بضرورة إحداث نُقلة في مراحل تطوُّر هذا العلم، بوحي من مستجدات طرأت على الفكر الإنساني عموماً، والفكر الديني خصوصاً.

وهذا الاستغراق تسبب في كثير من الأحيان بوصف منهج المتكلمين بالقضايا الرياضية(٢) التي قد تبهر العقل بما فيها من اتساق وانسجام تام بين المقدمات والنتائج، دون التأثير في الشعور والوجدان، وبخاصة أن العقيدة الدينية " لا تعتمد على جانب واحد من جوانب الحياة النفسية للإنسان...ولكنها تتصل بها اتصالاً وثيقاً ...فيوجد قبول عقلي واطمئنان قلبي، والتقاء مع الإرادة، وذلك هو كمال الشخصية، وكمال الاعتقاد"(٣)

(١) الغزالي: فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ص١٥٠

(٢) محمد الغزالي: عقيدة المسلم ص ٧

(٣) محمود حب الله: الحياة الوجدانية والعقيدة الدينية ص ٢٦٨

رابعاً: ظهور المدارس الكلامية والمذاهب الفلسفية المادية: ربما بعضها انبهر بالآلية العقلية التي يوفرها المنطق الأرسطي، و البعض الآخر رفضه كما رفض الوافد المعرفي اليوناني عامة، فتطور الجدال و السجال بين هذه الأطراف، كل يدافع عن مذهبه، وتوسعت القضايا وازدادت تشعباً وتفريعاً حتى فقد علم الكلام حيويته وفاعليته واختزل في مقولات يكتنفها الغموض و التعقيد و التفريع و الحشو، فتحول بذلك إلى" مجرد ترف فكري لا فائدة منه ولم تستسغه النخب الجديدة حيث لم يعد قادرا على معالجة الإشكالات المعرفية الحديثة فضلا عن المشاغل الروحية للمسلم المعاصر، فبرزت بذلك محاولات جديدة لإعادة إحياء هذا الفكر في قالب جديد ، والبحث عن عصر ذهبي للثقافة الإسلامية بعد أفول شمعتها الأولى"(١)

فلابد من التجديد في المناهج، وأيضاً في لغة الخطاب، وفي أساليب التأليف، ومنطق الترتيب للأبواب والمسائل والمقالات، يقول محمد عمارة: " من تحلي علم الكلام الجديد بالبلاغة التي تراعي مقتضى حال العقل المعاصر، إن في الموضوعات أو أساليب التعبير والخطاب أو هندسة البناء المفاهيمي والمعرفي لأدبيات هذا الطور الجديد لعلم الكلام"(٢)

فضلاً عن ذلك: قصور علم الكلام في استدلاله على المسائل العقدية عن طريق العقل " فمحاولة إثبات ذات الله وصفاته وقضايا ما وراء العقل، وهما بالرغم من الخلاف والصراع يلتقيان في الأساس، وأعني بالفلسفة الدينية علم الكلام؛ ذلك الذي حلل ودقق هذه المسائل الإلهية وقضايا ما بعد الطبيعة مثل الفلسفة، وأتي بتدقيقات وتقعيرات كانت سمة الفلسفة اليونانية وشعارها، وإن كان كل منهما يختلف عن صاحبه في النتائج التي توصل إليها والغايات التي توخاها " (٣).

---

(١) النيفر حميدة: النص الديني والتراث الإسلامي ص ١٤

(٢) عبد الجبار الرفاعي: الاجتهاد الكلامي مناهج ورؤى ص ١٢٦

(٣) يوسف القرضاوي: أبو الحسن الندوي كما عرفته ص ٩٩.

وفي ذات الوقت لابد أن نسلم بمحدودية العقل الإنساني ووسائل معرفته ، وهو ما صرح به ابن رشد في دفاعه عن الفلاسفة ورده على (الغزالى) في (تهافت التهافت) الذي قال فيه: "هذا كله عندي تعد على الشريعة، وفحص عما لم تأمر به الشريعة؛ لكون قوي البشر مقصرة عن هذا، وذلك أن ليس كل ما سكت عنه الشرع من العلوم يجب أن يفحص عنه ويصرح للجمهور بما أدي إليه النظر أنه من عقائد الشرع؛ فإنه يتولد عن مثل هذا التخليط العظيم، فينبغي أن يمتلك عن هذه المعاني كل ما سكت عنه الشرع ويعرف الجمهور أن عقول الناس مقصرة عن الخوض في هذه الأشياء . [١]

أما الكتاب الذي صنفه في الرد على المتكلمين باسم (الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة)، فقد أثبت فيه قوة الاستدلال القرآني، وتفوقه إزاء أسلوب الاستدلال الكلامي بقطعية، ويعتبر نموذجاً جيداً لسلامة فهمه أنه أبان فيه في عدة مواضع عجز الجمهور عن إدراك هذه الأمور والمسائل [٢].

ومن ثم لابد أن نسلم أن قوي البشر وعقولهم مقصرة عن إدراك هذه المسائل والبحث عنها والتأمل فيها، ولكنني لا أعتقد الفلاسفة إلا بشراً وما كان أفلاطون، وأرسطو، والفارابي، وابن سينا، وابن رشد نفسه إلا أفراداً من النوع البشري فيما أعتقد، فكانوا كسائر أفراد الجمهور مكلفين بأن يعرفوا قدرهم ويؤمنوا بأن عقولهم كسائر الناس مقصرة عن الخوض في هذه الحقائق التي رزقوا وسائل الإقناع بها، والاحتواء عليها، ولم يملكوا من المعلومات الأولية، والمواد المقدمات ما يتواصلون بترتيبها إلى النتائج القطعية والمعرفة الصحيحة، " وليس في هذا الوقت الذي نعيش فيه حاجة إلى عرض المسائل الكلامية، واختلاف المتكلمين بين مثبت وناف، للقضايا

---

(١) ابن رشد: تهافت التهافت، ص ١١٠

(٢) المصدر السابق ص ١٠٠ ــ ١٠١

العقدية؛ إنما نحن بحاجة إلى سمات ضرورية خاصة وما يتعلق بالعقيدة منها ما يلي:

١ــ حب الاختصار والاقتصار على الضروري المفيد والشعور البالغ إلى حد الحساسية الزائدة بقيمة الوقت وسرعة مضيه، والزهد في كل شئ طويل معقد وما يجهد النفس ويستنفد طاقتها .

٢ــ المسائل الكلامية يصعب على كل إنسان فهمها، ويشق على النفس إدراكها، خاصة وإن لكل عمر لغة خاصة، لا يفهم أهله إلا بها، ولكل عصر طبيعة ومنطق وأسلوب لابد من مراعاته إلى حد ما .

٣ ــ إن هذه الأجيال الحالية تتسم بقصور الهمه، وضعف الإرادة وضعف القوي هذا بالإضافة إلى ما امتاز به هذا العصر من ارتفاع مستوى المعيشة وتعقيد المدنية وكثرة مطالب الحياة وتكاليفها .

٤ ــ الفهم الديني والتصور الإسلامي يتأثران بعوامل خارجية تتغير باختلاف الأزمنة وتأثير الفلسفات والنظم السائدة المسيطرة؛ فقد تأثرا في القرن الثاني فما بعده بالفلسفة اليونانية والفكرة العقلانية، وهما يتأثران اليوم بالفلسفات الغربية السياسية، والنظم الاقتصادية والاجتماعية، وأساليب وتنظيم الحياة والمجتمع في هذا العصر [١] .

وأخيراً: فهل يبقي الكلام في العقائد حكراً على هذا النمط الذري من الحواش والمتون ؟، على أننا إذا تغاضينا عن الشكل وتعرضنا للجوهر بالنقد والتمحيص، لا نلبث أن ندرك أن هذا الجانب الإلهي من الثقافة الإسلامية طغت عليه من الفلسفات اليونانية، ويبدو أن الأسلاف الباحثين في هذه الناحية من الإسلام قد فتنهم الإعجاب بما نقله إليهم التراجمة من ثمرات العقل اليوناني، ولسنا ونحن بصدد الحكم على قيمة هذا العمل وحكمته، غير أن عناصر العقيدة كادت تتيه وسط الركام من النقول والمصطلحات؛

(١) أبو الحسن الندوي: منهاج الصالحين عقيدة وسلوك ص ١٢، وانظر: أبو الحسن الندوي: النبوة والأنبياء ص ٥٠

فوجب تجميعها في نسق متقارب ثم غرسها في الأفئدة ليثمر ويزدهر، ومن العجيب أنك تقرأ في أمهات الكتب الكلامية فلا تكاد تعثر على آية أو حديث إلا اقتباسات يسيرة [١]

السؤال الذي لابد من الإجابة عليه: هل يستطيع هـذا العلـم اليـوم النهوض بما كان ينهض به بالأمس؟ أو بعبارة أخرى هل ثمة علم كلام جديد يواكب حركة الفكر المعاصر؟ وهل يوجد لدينا علم كلام جديد وآخر قـديم؟ وأخيراً ما هو موقع علم الكلام السني في مجال التحولات التي يشهدها الحقل المعرفي العقدي ضمن مشروع علم الكلام الجديد؟، للإجابة عن هذا السؤال نتتبع البحث في الصفحات الآتية.

(١) أبو الحسن الندوي: منهاج الصالحين عقيدة وسلوك، ص ١٣.

المبحث الثاني: بواعث التجديد في علم الكلام وضرورته

دوافع التجديد في علم الكلام:

تمت الإشارة فيما تقدم إلى العديد من المآخذ التي أخذت على علم الكلام، سواء أكانت المآخذ من قبل الفقهاء أو المحدثين أو الصوفية أو المستشرقين، وأياً كانت هذه المآخذ متعلقة بالمنهج أو الوسيلة، أو الوجهة التي اتجه إليها العلماء والباحثين، أو الجمود والتقليد الذي أصابه في كثير من الأحيان، وهذه المآخذ في مجملها تُعد من أهم بواعث التجديد في علم الكلام، فضلاً عن غيرها من البواعث، حتى بات تجديد علم الكلام من الضرورات الملحة التي تفرضها الرؤية المعاصرة نحو التقدم والبناء العقدي والإنساني، وتتلخص هذه البواعث فيما يلي:

أ- **التجديد ضرورة حتمية:** وهذه حقيقة يفرضها الواقع أن التجديد من الضرورات الملحة، وحتم لابد منه، والعمل على تطبيقه، ويكاد يكون التجديد بهذه الكيفية عند بعض الباحثين " فرض عين على كل المعنيين بالفكر الفلسفي...ويزداد إلحاحاً بعد أن ماهت الفوارق بين التبعية والاستقلال الحضاري، وترسم بديلاً موقف هامشي هو موقف التنازلات التي أصبحت تلامس حدود ثوابت الهوية، ووضع القومية موضع الاستفهام، والعروبة موضع التشكيك، والإسلام رديفاً للرجعية...في مثل هذا الموقف يصبح التحديث بمثابة طوق النجاة لنا من الانسحاق الحضاري والضياع الثقافي في خضم ما نعانيه من انخفاض معدلات التنمية، واحتلال الأراضي، ونهب الثروات، وعلو الصهيونية، وشيوع التطرف، وذيوع التعصب وانحسار العقلانية، وكلالة البحث العلمي"[١]

والتجديد ليس حقاً واجباً فحسب؛ بل هو طوق النجاة لنا من الضياع الحضاري، والانسحاق الثقافي، وتشويه الهوية[٢] يقول أمين الخولي: " أول

(١) يمنى طريف: الطبيعيات في علم الكلام ص ١٥

(٢) يمنى طريف: أمين الخولي والأبعاد الفلسفية للتجديد ص ٢٥

التجديد قتل القديم فهماً وبحثاً ودراسة، وأما إذا مضى المجدد برغبة في التجديد مبهمة، وتقدم بجهالة للماضي وغفلة عنه، يهدم ويحطم ويشمئز ويتحكم، فذلكم وقيتم شره، تبديد لا تجديد"(١)

بالإضافة إلى هذه الضرورات السالفة أن تجديد علم الكلام يعد من أهم أسباب النهضة، التي لابد أن يعيها المسلمون، يقول المستشرق الفرنسي هنري لاووست: " إن الإسلام في حاجة اليوم إلى علماء توحيد ومؤرخين بقدر ما هو بحاجة إلى الفنيين والمهندسين، إذا كان يريد أن يظل إحدى القوى الروحية في المستقبل"(٢)

ب- **التقليد الأعمى:** من أهم مبررات التجديد رفض التقليد الأعمى المذموم، بيد أن هناك حقيقة مؤداها أنه لا ضير في الإفادة من السابق، وأن حتمية التأثير والتأثر حقيقة واقعة، لكن المخالف للعقل والمنطق أن تقبل كل ما يؤثر من الآخر من دون تمحيص وفحص؛ بل ينبغي أن نستعمل تفكيرنا، فإن وجدناها موافقة للعقل قبلناها، وهذا ما يميز الحيوان الناطق عن سائر الحيوان الذي لا يعرف تغيراً ولا تقدماً"(٣)، فضلاً عن أن مفاسد التقليد وأضراره كبيرة وخطيرة، فمن جناياته؛ جنايته على اللغة والنظام والاجتماع والشريعة وأهلها وعلى العقيدة ونظام التعليم(٤) وهذا ما أكده أمين الخولي في قوله: " هم رجال ونحن رجال، لهم عصرهم ولنا عصرنا، نتعلم منهم ولا نحذو حذوهم النعل بالنعل"، فالإسلام أنحى على التقليد، وحمل عليه حملته التي لم يردها عنه القدر، فبددت فيالقه المتغلبة على النفوس، واقتلعت أصوله الراسخة في المدارك، ونسفت ما كان له من دعائم وأركان في عقائد الأمم، وصاح بالعقل صيحة أزعجته

(١) أمين الخولي: مناهج تجديد ص ١٠٩

(٢) عبد الحميد مدكور: التجديد في العلوم الدينية.... ص ١٥٦

(٣) محمد عبده: الإسلام دين العلم والمدنية ص ١٤٥

(٤) محمد عبده: الإسلام دين العلم والمدنية ص ١٤٥

من سباته، وهبت به من نومة طال عليه الغيب فيها"[١]، وفي ذات الوقت أكد الإسلام أن الإنسان لم يخلق ليقاد؛ بل ليهتدي، وصرف القلوب عن التعلق بما كان عليه الآباء، ونبه أن السبق في الزمان ليس آية من آيات العرفان[٢]

ج- **الاستجابة نحو متطلبات الحياة المعاصرة:** والتي تعد بحق من أهم بواعث التجديد في هذا العلم، وهذا يعني أن العقل قد ملّ من المناقشات الجدلية العقيمة، والطرح الذي لا يتناسب مع المعطيات الحديثة التي تحمل في ثناياها ألواناً شتى من التقدم والتكنولوجيا، وظهور بعض النظريات العلمية التي تحمل العديد من الشبهات حول العقيدة الإسلامية؛ فكان لزاماً على المتكلمين أن يعملوا جاهدين على التجديد المثمر الفاعل، وهذا ما حدا بجمال الدين الأفغاني أن يصنف كتابه (في الرد على الهريين)، وكذلك تلميذه محمد عبده في كتابه (في الإسلام والنصرانية أمام العلم والمدنية)، وكذلك محمد إقبال في كتابه (تجديد الفكر الديني)، ومالك بن نبي في (الظاهرة القرآنية) وغيرهم.

د- **منهجية التصنيف والتأليف:** إن منهجية التصنيف والتأليف القديمة في علم الكلام على الرغم من ثمرتها في وقت سابق، إلا أنها لم ولن تكن مثمرة في هذا الوقت؛ فلقد أبعدت الناس عن الحياة الواقعية، وأدخلتهم في تفريعات وتدقيقات لا حاجة لهم بها، وهذا ما حدا بالعلماء والفقهاء وغيرهم، في تقرير حقيقة ملحة وهي " أن العصر الحديث لم تعد كتب علم الكلام القديم تصلح له، نظراً لوجود مذاهب مادية جديدة، وحوارات جديدة، وفهوم علوم جديدة...فكان لزاماً أن يحتاج الناس إلى عقيدة

---

(١) محمد عبده: رسالة التوحيد ص ١٥٧

(٢) محمد عبده: رسالة التوحيد ص ١٥٨

واضحة ومقنعة؛ وضوح وإقناع المنهج القرآني؛ ليعودوا مرة أخرى إلى إيمان لا تذهب حلاوته"[١]

هـ- **الانفصال عن الواقع:** إن علم الكلام بصورته القديمة أصبح لا يمت بصلة إلى الواقع، وعجز عن القيام بالدور الفاعل في طرح المسائل العقدية الصحيحة التي تؤثر في حياة الناس وواقعهم المنوط بهم، وهذا ديدن العقيدة، يذكر السيوطي في كتابه(التنبئة بمن يبعث الله على رأس كل مائة) وهو يقوم على أن المحن الاجتماعية تقتضي التجديد جبراً لما حصل من الوهن بالمحن، إنهم يعدون محن الظلم السياسي والاجتماعي على رؤوس المئين، فيذكرون الحجاج ومحنة خلق القرآن وخروج القرامطة وأفاعيل الحاكم بأمر الله واستيلاء الفرنج على كثير من البلاد الشامية ومن بينها بيت المقدس...ويعدون على رأس كل قرن محنة[٢]

و- **سيطرة المنطق الأرسطي:** على الرغم من رفض المتكلمين لهيمنة المنطق الأرسطي إلا أنهم اعتمدوه أساساً ومقوماً من مقومات البحث العلمي، والمتأمل لهذه المنهجية من البحث يجدها لم تعد تفي بمتطلبات التحديث والتطوير، لأنها خلو من الواقع، وإنما تهتم بتناسق المعطيات فيما بينها في الذهن[٣]، فضلا عن الخطأ في استعمال هذه المنهجية في مشاكل الإنسان الحياتية، وبالتالي انحرف عن المسار الطبعي؛ فأصبح يبحث عن عوالم ذهنية بعيدة تماماً عن الواقع ومتطلباته ومشاكله فتغلبت بالتالي النزعة الذهنية على الواقع، وتحول علم الكلام إلى مشاغل عقلية تتوغل في صناعة آراء ومفاهيم لا علاقة لها بالحياة[٤]، ونتج عن هذه

---

(١) الغزالي: عقيدة المسلم ص ٨

(٢) أمين الخولي: المجددون في الإسلام ص ١٥

(٣) عبد الجبار الرفاعي: علم الكلام الجديد ص ١٥

(٤) عبد الجبار الرفاعي: علم الكلام الجديد ص ١٦

كله تفريغ عقيدة التوحيد من مضمونها العملي، والتعامل معها كمفاهيم ذهنية مجردة لا علاقة لها بالواقع(١).

ز- **رفض المباحث الكلامية:** ذلك أن المختصين في الدراسات الشرعية قد سيطرت عليهم النظرة السلفية برفضهم الشديد للمباحث الكلامية وما تقوم عليه من تأويل في أمور العقيدة؛ فالدراسات الكلامية انهارت في أغلب الجامعات الإسلامية، وبعضها تحجم عن تدريسها تعللا بما تحدثه من تشويش على عقائد الناس، وكذلك فإن التيارات الإسلامية السياسية تعادي المباحث الكلامية، وترى فيها مجرد ترف فكري متأثر بالفلسفات والنظريات المستوردة[٢]

ح- **اعتماد الكلام القديم على الطبيعيات الكلاسيكية:** والاستناد إلى معطياتها بوصفها حقائق نهائية، بينما نسخت العلوم الطبيعية الحديثة معظم الأفكار والقوانين التي قامت عليها الطبيعيات بالأمس، وبرهنت الاكتشافات الحديثة لقوانين الطبيعة على أنَّ الكثير من قوانين تلك الطبيعيات وأفكارها أوهام محضة[٣].

ط- **الاستشراق:** لابد من إظهار دور المستشرقين الفاعل في نقد العديد من الرؤى والأفكار الإسلامية، وكيف يكون مبرراً في تجديد علم الكلام، ومناقشة أمثال هؤلاء بطريقة تتناسب مع الواقع، وقد قام بالرد عليهم ومناقشتهم العديد من رواد الفكر آنذاك، ومن أبرزهم جمال الدين الأفغاني في الرد على الدهريين، ومحمد عبده في الكلام عن النصرانية، وما زال هناك من الباحثين من يوظف أعماله وأبحاثه في مناهضة هذا اللون من الفكر.

---

(١) محمد باقر الصدر: موجز أصول الدين ص ٢٩

(٢) عبد الله السيد ولد أباه: تجديد علم الكلام ...ص ٣

(٣) علم الكلام وضروريات النهضة ص ٤٣

هذه أهم الدوافع والمبررات التي تدفعنا نحـــو التجديـــد والتحـــديث، لمعالجة هذه المشكلات المستجدة التي تواجه الأمة، وبالتالي يتم تطوير علم الكلام من خلالها.

أما عن أهمية التجديد في علم الكلام؛ فهي تختلف تمام الاختلاف عن التجديد في أي علم آخر؛ ولم لا، وهو يتناول قضايا العقيدة ومسائلها التـــي هي من أركان الإيمان وأسسه، فضلاً عن أن شـــرف العلـــم مـــن شـــرف موضوعه، ولقد اعتمد المتكلمون في البحث عن الذات الإلهية، وما يتعلق بها من صفات وأفعال، موضوعاً لعلمهم، وكذا الدفاع عن الدين، وردِّ الشُّبهات الواردة على أصول الدين ومفرداته العقدية، غايةً لهم وهدفاً.

وموضوع علم الكلام يتناول الإيمان بالله، وكذلك الإيمان بالملائكـــة، والكتب والرسل، واليوم الآخر والقدر، يقول الغزالي: " فالعلم الكلـــي مـــن العلوم الدينية هو الكلام، وسائر العلوم من الفقه وأصوله والحديث والتفسير علوم جزئية.... فإذا الكلام هو المتكفل بإثبات مبادئ العلوم الدينيـــة كلهـــا، فهي جزئية بالإضافة إلى الكلام، فالكلام هو العلم الأعلى في الرتبة؛ إذ منه النزول إلى هذه الجزئيات"[١]

ضوابط التجديد في علم الكلام: لعل من البيّن لجميع المشتغلين فـــي هذا الحقل المعرفي، أن تجديد علم الكلام لم ولن يطلق على عاهله؛ بل لـــه ضوابط وقيود لابد أن نحتكم إليها عند التجديد، وهذا ديدن الإسلام وطبيعته فيما يستجد من أفكار ورؤى، بمعنى أن علم الكلام لابد أن يحتفظ بثوابتـــه وقواعده المنوطة به، مع السعي الحثيث نحو تطوير الوسائل حسب متطلبات العصر وحاجة الزمن، ولزاماً على المجدد أن يتسلح بسلاح عدوه، إن جاز لنا التعبير، وكما قال الشيخ أبو زهرة: " إن المحارب يضطر إلى اســـتخدام طريقة تلائم طريقة عدوه، وهو مقيد بأســـلحته، متعـــرف لخططـــه، دارس

(١) أبو حامد الغزالي: المستصفى ١/٥

لأهدافه، وليس ذلك في معارك السلاح فحسب؛ بل إن ذلك ينطبق في معارك الفكر أيضاً"[1]، ويقول وحيد الدين خان: " فكلما أردنا مواجهة الأسئلة التي تثار ضد الدين كان لابد من تغيير لهجتنا ولغتنا... حتى نستطيع أن نقف أمام العواصف، وعلينا ألا ننسى أن طريقة الكلام وأسلوبه قد تغيرا، لمواجهة تحدي العصر الحديث" [2]، وبالتالي فإن هناك العديد من الضوابط والمعايير، حتى يكون التجديد تجديداً سائغاً مقبولاً لا منحرفاً مردوداً، ومن هذه الضوابط والمعايير ما يلي:

١- التجديد في علم الكلام يكون في المنهج أو الوسائل، لا في الثوابت، مع المحافظة على الدليل الشرعي المنبثق من القرآن والسنة، يقول الكندي: عن الدليل القرآني وثمرته، وبخاصة في المسائل العقدية المهمة التي هي ركن من أركان الإيمان، وهي البعث بعد الموت[3]:" فأي بشر يقدر بفلسفة البشر أن يجمع في قول بقدر حروف هذه الآيات ما جمع الله إلى رسوله الله فيها...كلت عن مثل ذلك الألسن المنطقية...وقصرت عن مثله نهايات البشر، وحجبت عنه العقول الجزئية"[4] الغزالي: " إن أدلة القرآن مثل الغذاء الذي ينتفع به كل الناس؛ بل إنها كالماء في انتفاع الخلق جميعاً به، صغاراً وكباراً ضعفاء وأقوياء"[5]

(١) محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٣٤

(٢) وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى ص ٣٠

(٣) قوله تعالى: "أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣) " [يس: ٧٧ – ٨٣].

(٤) الكندي: الرسائل ٣٧٦/١

(٥) الغزالي: إلجام العوام عن علم الكلام ص ٢٣

٢- لا يكون التجديد في قضايا العقيدة التي لا مجال للعقل فيها، كالحقائق الإيمانية والأخبار الغيبية.

٣- طرح القضايا العقدية بطريقة سهلة وميسرة، خالية من الغموض والتدقيق الممل، وإقامة الدليل المناسب على صحتها، ومواجهة الأفكار والآراء المعاصرة بلغة العصر، وبأسلوب يتوافق مع الواقع، فلكل مقام مقال.

٤- التخلص من التعصب المذهبي الذي يوصل أحياناً إلى الافتراق والانقسام.

٥- النظر إلى الحضارة الغربية وما يتعلق بها نظرة متوازنة خالية من التفريط والإفراط.

٦- ربط القضايا الكلامية بواقع الناس الحياتي، بحيث يمكن الإفادة من هذا كله في جوانب الحياة المتعددة.

٧- دراسة آراء المخالفين دراسة متأنية عميقة، وهذه قاعدة مهمة وعظيمة الفائدة، وهذا ما أشار إليه الغزالي عند نقده للفلاسفة في قوله: " وعلمت يقيناً أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم، من لا يقف على منتهى ذلك العلم، ثم يزيد عليه ويجاوز درجته، فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غوره وعائلته، وإذ ذاك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساده حقاً "(١)

٨- يشترط في المجدد أن يكون عالماً معروفاً بصفاء العقيدة، وسلامة الدين، والصلاح، فلا تُقبل دعوى التجديد ممن عُرف بالفسق والانحراف في الفكر، والابتداع في الدين مما يخالف فيه جمهور المسلمين.

٩- ينبغي أن يكون التجديد مما يحتاج إليه المسلمون في زمانهم، ويعُم نفعه.

(١) الغزالي: المنقذ من الضلال ص ١٢٦

المبحث الثالث: معالم التجديد في علم الكلام

طبعي أن يتبين المقصود الحقيقي والفعلي من التجديد في علم الكلام: حيث إنه متى ما تحدد المقصود من التجديد في علم الكلام، سهل تحديد الملامح العامة للتجديد وتأصيلها، وبنايتها بناية قوية تواكب ركب التحضر والمدنية، دون الانفصال عن الماضي، وهذا ما سنفصله فيما يلي:

إن علم الكلام الجديد: هو الذي يخلص وينقي العقيدة من شغب المتكلمين القدماء، الذي كان مبعثه التعصب المذهبي أكثر من الاختلاف الحقيقي أحياناً، وهو علم الكلام الجديد الذي يتجاوز مقالات الغلاة الذين بادت أغلب فرقهم؛ حتى لا يغرق العقل المسلم المعاصر في مقولات شاذة لم يعد هناك مبرر لاستعادتها.

وهو العلم الذي يدخل في أدلة الإثبات للعقائد الإنجازات العلمية الكونية التي أنجزتها الإنسانية منذ النهضة الأوروبية؛ فيجعل العلم الكوني دليلاً على عقائد كتاب الله المسطور وكمالاته صفاته وأفعاله، والنبوة والرسالة والوحي والمعجزات.

وهو العلم الذي يقدم للأمة الإسلامية دعماً لوحدتها التي هي في أمس الحاجة إليها؛ لمواجهة الهيمنة الغربية على هوية الأمة [١]

إن معنى تجديد علم الكلام، ليس إلغاءه جملة وتفصيلاً، وإقامة علم آخر مكانه؛ وإنما تجديده بالإبقاء على أصله، وتصحيح ما اعتراه من أخطاء، وإضافة الجديد الذي يتناسب مع أصله، مما دعا الواقع إليه، سواء في الجانب المنهجي، أو الجانب المعرفي، والواجب في ضوء العلوم الحديثة مواكبة المستجدات، وتجديد النظر في بعض المسلمات التي اتخذها المتكلمون مقومات في الاستدلال، خاصة في المسائل الطبيعية كالجوهر والعرض واختبار صحتهما في ضوء العلوم الحديثة، والبحث عن إجابات

---

(١) الاجتهاد الكلامي: ص ١٢٢

لإشكالات برزت بقوة في عصرنا الحاضر مثل شبهات المستشرقين المتعلقة بالنبوة والوحي، ومواجهة ظاهرة الإلحاد وغير ذلك من القضايا[١]، وعليه فالتجديد ما هو إلا امتداد لعلم الكلام القديم، في المفهوم والموضوع والأهداف ذاتها.

والتجديد لابد وأن يكون في العلم لا في العلوم، حيث إن التجديد لا يمس العقيدة وأركانها من قريب أو من بعيد؛ بل الذي يتجدد هو الفكر وطريقة العرض، وطريقة التفاعل بين عقول الناس، وخاصة أن ثوابت الدين خالدة[٢]، والتجديد في علم الكلام بصفة خاصة، تطويره وتكييفه لطور جديد من أطوار التاريخ بحيث يستطيع أن يقود مرة أخرى ركب الحضارة الإسلامية[٣]، وهذا بالطبع ما يفعله أصحاب الإيديولوجيات الأخرى، يرصدون الأموال، وينفقون الأوقات، من أجل تطوير منهجيات وأساليب وصيغ لطرح أفكارهم ومذاهبهم حتى تكتسب قوة القدرة على النفاذ إلى القلوب، والاستحواذ على العقول[٤]، ولنضرب مثالاً على ذلك، في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها عشرة الآف مركز للبحوث والدراسات، القسم الكبير منها تخصص في شؤون العالم الإسلامي، ووظيفة هذا المركز تتبع ورصد كل ما يجري في العالم الإسلامي، ومن ثم دراسته وتحليله مقارنة مع أصوله التراثية التاريخية، لتبنى على أثاثه الخطط، وتوضع الاستراتيجيات الثقافية والسياسية، وتحدد وسائل التنفيذ لتحطيم العقيدة، وتخريب الأفكار للقضاء على الشخصية الحضارية التاريخية[٥]

وعلى هذا النسق يكون المقصود الحقيقي والفعلي لمعنى التجديد في علم الكلام، ومن ثم يتبين أن التجديد ليس انحيازاً للجديد بصورة دائمة، وأنه

---

(١) عبد الحميد مدكور: التجديد في العلوم الدينية ص ١٥٧
(٢) حسن الترابي: هل الفكر الإسلامي يتجدد ص ٢١
(٣) محمد رمضان عبد الله: الباقلاني وآراؤه الكلامية ص ٥٣
(٤) أحمد كمال أبو المجد: حوار لا مواجهة من أجل طرح جديد لقضايا علم التوحيد ص ٢٤٤
(٥) عمر عبيد حسنه: مقدمة كتاب الأمة ص ٢٢

تجاوز مستمر بحيث صارت الحدود الفاصلة بين الثابت والمتغير غير واضحة المعالم إن وجدت، أو لا توجد بالكلية[١]

وكذلك يكون التجديد في المناهج إفادة مما تحقق من التراكم المعرفي في هذا الميدان.. و أيضا في لغة الخطاب، و أساليب التأليف، ومنطق الترتيب للأبواب و المسائل والمقالات، يقول محمد عمارة:" من تحلي علم الكلام الجديد بالبلاغة التي تراعي مقتضى حال العقل المعاصر، إن في الموضوعات أو أساليب التعبير و الخطاب أو هندسة البناء المفاهيمي و المعرفي لأدبيات هذا الطور الجديد لعلم الكلام"[٢]، ويرى عبد الجبار الرفاعي: أن التجديد إذا طال الأبعاد السالفة الذكر-الأهداف والموضوع و المنهج- فإننا " سنشهد ميلاد علم جديد مغاير تماماً لسلفه؛ لأن أبعاد كل علم تُشكل نسيجاً متكاملاً فيما بينها، ويوحدها التأثير المتبادل، أي أنّ أي تحول في أحدهما يستتبعه تحول في سائر الأبعاد، وهذا يعني تخلخل المنظومة السابقة للعلم، وحدوث منظومة بديلة يأخذ فيها كل بعد من أبعاد العلم موقعه الملائم، ويعاد نظم المسائل في إطار يتسق و التحولات الجديدة في المسائل، والهدف، والمناهج، والموضوع، واللغة، والمباني، والهندسة المعرفية "[٣].

ملامح التجديد في علم الكلام

بتتبع جميع الآراء الواردة في المقصود الأسمى من التجديد في علم الكلام، تبين أن هناك اختلافات شتى في وجهات النظر، وتحديد الرؤى والملامح، حول جوانب التجديد وصوره وملامحه، هذه الملامح منها ما يتعلق بالمفهوم، ومنها ما يتعلق بالمنهج، ومنها ما يتعلق بالمسائل والقضايا،

---

(١) سيف الدين عبد الفتاح: التجديد السياسي والخبرة الإسلامية ص ٢

(٢) عبد الجبار الرفاعي: الاجتهاد الكلامي مناهج ورؤى متنوعة ص ١٢٦

(٣) عبد الجبار الرفاعي: علم الكلام الجديد وفلسفة الدين ص ٢٦

ومنها ما يتعلق باللغة، ومنها ما يتعلق بالهدف والغاية[١]، ولكل غاية ووجهة انطلق منها في تحديد هذه الملامح.

لكن السؤال الملح: هل هذه الوجهات المتعددة نابعة من إيمانهم بالمسألة أو القضية، ورغبتهم الماسة في التجديد، أم أنهم لجأوا إلى التجديد من أجل تحقيق هدف مذهبي أو سياسي إلخ، للجواب عن هذا السؤال الملح والمهم من وجهة نظري، لابد من التعرف على هذه الملامح تفصيلاً، على هذا النحو:

أولاً: نحو رؤية مؤسسية: من أبجديات الملامح التجديدية نحو علم الكلام، هذا الملمح الذي[٢] يرى "تحويل الجهد الكلامي إلى مؤسّسة لعلم الكلام، وذلك من خلال الاهتمام بمجموعة أمورٍ من قبيل تشكيل مؤسّسات ولجان لتصحيح التراث الكلامي وإخراجه من المكتبات القديمة ومن عالم المخطوطات وتحقيق هذه الكتب وطباعتها طباعةً عصرية، وكذلك إقامة المؤتمرات الدورية والملتقيات والمنتديات التي تُعنى بالفكر الكلامي، وتأسيس مكتباتٍ كلاميّة متخصّصة تتوفر فيها جميع المصادر والمراجع الكلامية القديمة والحديثة، وكذلك تأسيس بنوكِ معلوماتيةٍ كلاميّة تسهّل على الباحثين المادة الكلامية، وتحويل علم الكلام إلى عالم الإنترنت والكمبيوتر ونحوها، وبالإضافة إلى ذلك كلّه الاهتمام بالإصدارات الكلامية المتخصّصة من مجلاّتٍ ونشريّات ودوريّات، وكذلك تهيئة معاجم مفهرسة ومعاجم مصطلحات ودائرة معارف وموسوعة، كما تجدر الإشارة هنا إلى دور مراكز الترجمة التي تنقل الفكر الآخر كما تعرّف الآخر بالفكر الكلامي الإسلامي"[٣].

---

(١) د. أحد فرامرز قراملكي ، تحليل مفهوم التجدد في الكلام الجديد ، ترجمة: حبيب فيَّاض ص ٢٨

(٢) أكبر قنبري: التجديد في علم الكلام، ص ٢

(٣) محمد عمارة: الأعمال الكاملة ٧٤/٣

وهذه الرؤية، تعد من بين الرؤى المهمة التي لابد أن تدرس وتوضع في الاعتبار، وتقوم الهيئات والمؤسسات بدراستها دراسة عميقة، من خلال أشخاص لهم فهم ثاقب في هذا الشأن، وهذا ضرب من الاهتمام لــه قيمتــه الفكرية والثقافية التي تعنى بنفض الغبار عن التراث الكلامي، وإخراجه في حلة عصرية وتقديمه إلى الباحثين والمهتمين عبــر الوســائل التكنولوجيــة الحديثة، إلا أنها لا توصل إلى الهدف المنشود من التجديد.

ثانياً: التجديد في المنهج: يكاد يكون هذا الملمح من أهــم الملامــح لتجديد علم الكلام، ودارت حوله العديد من المناقشات التي أدلت برأيها حول التجديد من هذه الناحية المهمة، وتجديد المنهج فــي أي علــم مــن العلــوم ضرورة وأمر حتمي لابد منه، لذا أولاه العديد من المفكرين عناية خاصــة، وفي مقدمتهم جمال الدين الأفغاني، وتلميذه محمد عبده، حيث أولــى الأول دراسة اللغة العربية، ومناهج التعامل معها عناية خاصة، وذلك بوصفها أحد المقومات الكبرى للأمة إلى جانب دينها، وأخلاقها، وموروثها الحضــاري والتاريخي، بالإضافة إلى أن تجديد أساليب دراستها، وأساليب التعامل بهــا يعطي دفعة قوية لإصلاح وتجديد الفكر الديني نفسه، نظــراً لأن نصــوص الدين نفسها موجودة، ومحفوظة باللغة العربية، والتجديد في المنهج يعنــي التحرُّر من المنهج الأحادي ، والانفتاح على مناهج متعــدِّدة فــي البحــث الكلامي، لتشمل المناهج الهرمنيوطيقية (علم تفسير النصوص)، والسيميائية (علم الدلالة)، والتجريبية، والبرهانية، مضافاً إلــى ظــواهر النصــوص، والحقائق التاريخية[١]، والسبب في التجديد من هذا الجانب كما يقول حيــدر حب الله :" لأن المنهج في التفكير والممارسة، هو الذي يضيء للأمة ســبيل العمل للتفكير في تلك الحلول أو المنعطفات الجزئية"[٢].

---

(١) أحد قراملكي: تحليل مفهوم التجدد في الكلام الجديد ص ٢٨

(٢) حيدر حب الله: مسألة المنهج في الفكر الديني ص ٩

وعليه: فالمنهج أصبح من الضرورات الواجبة الإيجاد، وبذلك كان الأجدر بالمجددين البحث في أساليب أخرى تكون وافية بالغرض، كإحداث المناهج وتفعيلها ومسايرة العصر بما أثمر من جديد مفيد(١) ونجد باحثاً آخر وهو أحد قراملكي يسير على منهجية حيدر حب الله في النظرية التجديدية للمنهج قبل الخوض في المسائل الكلامية، وهو يرى أن ليس من شأن المتكلم المحدث سوى عرض وتفهيم وإثبات وتعليم الأفكار الدينية (٢)فتكون المهمة الكلامية الأولى في إرساء المناهج اللازمة للتوصل إلى المعارف التجديدية المناسبة والمقبولة، وهنا ملحظ مهم كما يراه أحمد قراملكي حيث إنه يُفرق بين المناهج والتوجهات قائلاً:

"من المناسب التذكير بالتمييز الذي بين المنهج والتوجّه؛ فالمنهج يطلق عادة على أساليب النقد والإثبات والإبطال في مقام الحكم والتقييم، أما التوجّه فيطلق على أسلوب الباحث في جمع المعلومات واكتشاف الحقيقة، وبهذا المعنى يكتسب كل من المنهج والتوجه ظروفاً منطقية متمايزة، وعلى هذا الأساس تنحصر المناهج الكلامية غالباً بمقام الدفاع (إثبات التعاليم وإبطال الآراء المعارضة)، بينما تختص التوجهات بمهمة تصحيح العقائد وعرض المعتقدات الدينية" (٣).

ولنضرب مثالاً واحداً على بعض الأخطاء المنهجية في تناول موضوعات علم الكلام، وليكن الحديث عن مسألة الصفات من منظور كلامي، فإنه من وجهة نظري قد يبتعد أحياناً كثيرة عن ما وضع له، وفصلها عن السياق الذي وردت فيه، وعرضها في سياق الجدل الكلامي من خلال شبهات الطوائف المنحرفة(٤)،وليكن طرحنا لموضوع الصفات وغيرها

---

(١) حيدر حب الله: مسألة المنهج في الفكر الديني ص ٢٣٠

(٢) أحد قراملكي: الهندسة المعرفية للكلام الجديد ص ٩٦

(٣) أحمد قراملكي تجديد علم الكلام ص ٦٥

(٤) محمد خيري العمري: علم الكلام بين الأصالة والتجديد ص ٢٤٦

منطلقاً من المنهج القرآني الذي يبعث في النفس الحيوية والعظمة والخشـــية والإنابة لله تعالى.

ثالثاً: تجديد القضايا: وهذا يعني توالد مسائل جديدة، نتيجة للشـــبهات المستحدثة، ينجم عنها نمو وتطوُّر علم الكلام نفسه، وهناك الكثير من مسائل علم الكلام لم يعد له اليوم وجودٌ، ومن ثم ظهرت العديـــد مـــن الاتجاهـــات الجديدة التي لم تَستخدم نفس آليات البحث التي كان يتم الاعتماد عليها سابقاً، بل استقت لنفسها أنماط تفكيرٍ أخرى، وهذا تحوُّلٌ جـــذري وأساســـي فـــي مساحات العمل وأفق التفكير الطارئة على علم الكلام[1]،وهذا ما وجد عناية خاصة للعديد من الباحثين وكتاباتهم منهم على سبيل المثال محمد أركـــون، الذي حاول أن يجدد في المسائل الدينية العقدية والفقهية، فيقـــول:" ولكننـــا سوف نلاحظ أن هناك اختلال توازن فظيعاً بين الاســـتهلاك الأيـــديولوجي اليومي للقرآن وبين الفكر الحر النقدي، الذي يأخـــذ بعـــين الاعتبـــار كـــل المشاكل التي يطرحها القرآن اليوم، ليس فقط على المسلمين وإنما على كل النفوس الحريصة على تجديد معرفتنا بالظاهرة الدينية"[2]

فضلاً عن وجود قضايا ومسائل قديمة لا حاجة لنا اليوم بها، ولا هي مدعاة للبحث والتأمل كعلاقة الصفات بالذات، وهل صفات الله تعالى هـــي عين ذاته، أم هي غير الذات، وهذا ما فعله محمد عبده حينما امتنع عن مثل هذه القضايا وصنف رسالة التوحيد تصنيفاً يتناسب مع طرق التفكير الحديثة، وفي ذات الوقت تجمع بين العقل والنقل.

رابعاً: الاهتمام بالإنسان: من أهم ملامح التجديد في علم الكلام أنسنة هذا العلم والاهتمام بإنسانية الإنسان بصورة واقعية، كالاهتمام بمبدأ الإنسان، وقيمته الذاتية ومنزلته في الكون، وغاية وجوده، ومصيره، فهذه المسائل لم تنل الاهتمام في الفكر الكلامي الموروث إلا أن تكون جزئيات متفرقة فـــي

(١) حيدر حب الله: مسألة المنهج في الفكر الديني ص٤٣

(٢) محمد أركون، الفكر الإسلامي ــ قراءة علمية ــ ترجمة هاشم صالح ص ٢٣٣

أثناء موضوعات أخرى، وهي اليوم تمثل مطلباً أساسياً في التأصيل العقدي، وذلك بالنظر إلى ما يشكوه العالم الإسلامي من مظاهر عديدة لامتهان الإنسان، وإهانة كرامته، وإهدار قيمته ويتجلى هذا بوضوح في فكر أبي القاسم حاج حمد، في كتابه(منهجية القرآن المعرفية)، وفي ذلك يقول :" ثم أشرت إلى ملامح المنهجية المعرفية القرآنية والتي يتكشف مكنونها بداية من خطاب إلهي، حصري واصطفائي، موجه إلى أقوام محددة وانتهاء بخطاب عالمي يتسع للناس كافة، وأطر هذا الخطاب الإلهي وتدرجه التاريخي ومنتهيا بحتمية ظهور الهدى ودين الحق منهجا للمعرفة"[١]، وفي كتاب (جدلية الغيب والإنسان والطبيعة)، يوضح أن الإنسان هو المصطفى بالأمانة، وبالتالي هو المسؤول عنها أمام التاريخ الكوني الكلي، ويعد أهل التوحيد من أوائل المكلفين، كونهم الحاملون لرسالة الرسالات ونبوة النبوات، وفي عبارة جامعة، المسلمون هم السبب الأول في ضياع وضمور المنهج القرآني كناظم أزلي للإنسان في الطبيعة، و لعزتهم لابد من استرجاعه وبعثه، وتأسيس العالمية الإسلامية الثانية، والتي هي خالية من التجربة النبوية، فالنبوة تجربة عملية بيانية .. والمنهج تجريد نظري دقيق[٢]

المتأمل فيما كتب قديماً في علم الكلام عن الإنسان يتبين له خلوه من الاهتمام بسلوك المسلم النابع من تصوراته العقدية، وتمحضت للقضايا النظرية[٣]، بل ما هو أدهى من ذلك أن أصبحت مادة العقيدة عبارة عن جدل ونقاش لا يكاد ينتهي، ثم أجوبة واعتراضات وأجوبة تلك الاعتراضات واعتراضات لتلك الأجوبة، وأجوبتها وهكذا دواليك.

خامساُ: التجديد في المبادئ والأهداف: وتجدد المبادئ يعنى أنَّ كثيراً من دراسات علم المعرفة والوجود، وكذلك العلوم الإنسانية والطبيعية،

(١) أبو القاسم حاج حمد: منهجية القرآن المعرفية ص ٢٦
(٢) أبو القاسم حاج حمد: جدلية الغيب والإنسان ص ٦٢٠
(٣) فقه التدين ص ١٥٧

والأبحاث الرياضية، قد تبدّلت وتغيّرت من أساسها، ومن هنا فإنَّ بقعةً كبيرةً من اهتمامات وأدلّة ونقاشات المتكلّمين صارت بلا معنى في ظلِّ التحولات العلمية العظيمة، وهذا نحو مهم من أنحاء التجــدُّد الحاصــل [1]، وتجــدد الأهداف يعني تجاوز الغايات المعروفة لهذا العلم، التي تتلخَّص في الــدفاع عن المعتقدات، إلى تحليل حقيقة الإيمان ومجمل التجربة الدينية.

وهذا يعني تبيان صلة علم الكلام بالمشاكل الطارئة في حياة المسلمين فكرياً وسلوكياً، ونتيجة لذلك فلابد أن يكون علم الكلام واقعياً فــي نشــأته؛ وواقعياً في تطوره، ومن ثم تكون قضاياه الجديــدة متضــمنة ذلــك فــي الموضوع وفي المنهج، ومحكومة بمقتضيات الأحوال الاجتماعية والثقافية، وواقعية الموضوع تعني أن تكون موضوعاته ذات صلة متينة بما يجري في واقع الحياة، وواقعياً في منهجه؛ فتقوم باستعمال الأساليب الاستدلالية التــي تناسب التحديات المطروحة، وأكبر دليل على هذه الواقعية غــرس العقيــدة السليمة في نفس المسلم بحيث يحيا بها، لا لنعطيه البراهين على صــحتها، يقول مالك بن نبي: " إن مشكلتنا ليست في أن نبرهن للمسلم على وجود الله، بقدر ما هي أن نشعره بوجوده وغلابة نفسه باعتباره مصدراً للطاقة"[2]

سادساً: الجمع بين العقل والعلم: هذا الملمح يوضح كيفية الإفادة من العقل والعلم معاً، وكيف أنهما صنوان لا يعارض أحدهما الآخر، فكان الحال قديماً الاعتماد على العقل لحد ما لا سيما عند المعتزلة ومن سلك مســلكهم، أما الآن فلزم الاعتماد على العقل والعلم الحديث معاً لإيضاح القضايا العقدية وربطها بالواقع، وذلك من خلال التلاحم بينهما، فأما الاعتماد علــى العقــل بصورة جديدة فقد طبقه محمد عبده بصورة لا تخفى على أحــد، حيــث إن السياق التجديدي له ظاهر وبيّن في (رسالة التوحيد) التي بناها بناء منطقيــاً لعلم كلام جديد، حيث إنه تناول المقدمات الضرورية التي لا غنــى لأحــد

(١) حيدر حب الله: مسألة المنهج في الفكر الديني ص ٣٢

(٢) مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، ترجمة: عبد الصبور شاهين ص ٥٥

عنها، ثم تكلم عن الذات الإلهية وما يتعلق بها من الصفات والأفعال، وتكلم عن الإنسان وأفعاله، وتكلم عن النبوة والرسالة وأعطاها قدراً كبيـــرا مـــن البحث والدراسة، وتكلم عن قضايا الغيبيات، وتناول الشبهات المثارة والرد عليها بمنطق العصر، ودحض شبه أصحابها، وبهذا قد وضع أساساً جديـــداً لعلم الكلام، ركز فيه على إحياء السنن الإلهية، ودعا إلى ما يســـمى بعلـــم السنن، وسماه بعلم الاجتماع الديني، وركز على العقل وأهميتـــه ومكانتـــه اللائقة به، واعتباره جوهر الإنسان ومناط التكليف دون تأليهه ولا ســـيطرة على النص أو تفوق عليه وعدم اكتفائه عن الغيب مطلقاً.

وأما الاعتماد على العلم بجانب العقل فيكون بالاستناد علـــى مـــنهج الاستقراء القائم على حساب الاحتمالات، وهذا ما أقره وحيد الدين خـــان "إذ قام بتأسيس أصول الدين طبقاً لمنهجية الاستقراء وحسابات الاحتمال، فقـــد وضع لهذا الغرض كتابين؛ أحدهما يعد تبسيطاً وتوضيحاً للآخر، حيث عمد في كتاب (الأسس المنطقية للاستقراء) إلى تأسيس عملية الاستقراء تأسيســـاً جديداً يهدف من ورائه إلى البرهنة على وجود القاسم المشترك الذي يثبـــت كلاً من العلوم الطبيعية والإيمان بالله، ثم أردفه بكتاب (المرسل والرســـول والرسالة) ليوسع من دائرة إثبات قضايا العقيدة عبر النظر إلى الواقع مـــن منطق الاستقراء، وفي ذلك يقول: "إن قضايا أصول الدين والعقيدة ثبوتهـــا لدينا كثبوت القضايا العرفية والتجريبية في الوضوح والحقانية، لأنها تملـــك رصيداً من الدليل الحسي والاستقرائي على حد سائر القضـــايا الاســـتقرائية التجريبية [١]، وكذا اكتشف محمد باقر الصدر مذهباً جديداً في تفسير نمـــو المعرفة وتوالدها، غير ما كان معروفاً في المـــذهبين التجريبـــي والعقلـــي، وأسماه "المذهب الذاتي للمعرفة"[٢]

(١) محمد أركون: الفكر الإسلامي ـــــ قراءة علمية ـــــ ترجمة هاشم صالح، ص ٣٤
(٢) محمد باقر الصدر: موجز في أصول الدين ص ٤٥

إذن: لقد أبلى محمد عبده بلاء حسنا في هذا الجانب، وذلك من خلال استعانته في تفسير القرآن الكريم بالمعطيات العلمية التي رشحت في عصره، والتي رام من ورائها إثبات عدم التناقض بين الإسلام والعلم، ومن ثمة قبول الإسلام لمنجزات الحضارة الأوروبية، كما يبدو من خلال كتاباته حول نظرة الإسلام إلى العلم والعقل؛ وإقامة مقارنات بينه وبين النصرانية في الموقف من العقل والعلم، وكذا انفتاحه على الحوار والمناظرة مع المستشرقين كما كان مع المستشرق الفرنسي رينا، فقد دعا محمد عبده إلى: "تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة، قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى، واعتباره من ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لِترُدّ من شططه، وتقِلّل من خلطه وخبطه، لتتم حكمة الله في حفظ نظام العالم الإنساني، وأنه على هذا الوجه يُعدّ صديقاً للعلم، باعثاً على البحث في أسرار الكون، داعياً إلى احترام الحقائق الثابتة، مطالباً في التعويل عليها في أدب النفس، وإصلاح العمل"[١]

وكذا بيان حقوق الإنسان في الإسلام "وهي التي أخذت النصيب الأعظم من الاهتمام الكلامي بما تتضمن من بحث المفاهيم العامة التي أراد بها المثقف الديني تغطية حاجات المسلم المعاصر، كالبحوث المتعلقة بالحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية والمواطنة والقومية والخصوصية والديمقراطية والاشتراكية وغيرها.

وإذا كان الأمر كذلك فحري بالمختصين في هذا الحقل المعرفي العمل على تطوير وتجديد هذا الجانب في مسائل العقيدة وقضاياها، حيث إن بعض علماء الغرب ومفكريه يرون " أن حقائق الدين غير قابلة للإثبات بوسائل العلم المحسوسة من ملاحظة وتجربة ونحوهما"[٢]؛ فكان لزاماً على علماء

(١) محمد عبده: رسالة التوحيد ص ١٢٣

(٢) إميل بوترو: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني ص ١٠٥

علم الكلام مواجهة هذه الظواهر وغيرها مواجهة علمية قائمة على الاستقراء العلمي.

وهذا ما ذهب إليه السيد أحمد خان(ت١٨٩٨م) في قولـه: " ينبغـي تطوير علم جديد للكلام للتوفيق بين الدين والنظريات المتجددة الوافدة مـن الغرب في ساحة العلم والفلسفة، وأن عليه أن يواجه الشـبهات والتحـديات الجديدة النابعة من اليقينيات والحقائق التجريبية التـي لا يمكـن مواجهتهـا ومجابهتها على أرضية الفروض والاحتمالات الفكرية القديمة، كمـا كـان الشأن في مواجهة الفلسفة اليونانية القديمة"(١)، وهذا ما سلكه شبلي النعماني الذي يرى أن معالجة القضايا الجديدة التي أظهرتهـا المعتقـدات الغربيـة والفلسفات الجديدة والعلوم التطبيقية الحديثة يمثل اجتهاداً ومبادرات للتفكيـر الجديد(٢)

سابعاً: تجديد البحث في الطبيعيات(٣): ويقتضي هذا المنهج الـواقعي في جانبه العلمي رصد نتائج العلم التجريبي في دائرتـه الكونيـة ودائرتـه الإنسانية، واستخلاص تلك الحقائق التي تنطوي على دلالة واضـحة علـى مسائل العقيدة، ثم بناء أدلة عقلية منها على تلك المسائل، كما يقتضي هـذا المنهج في جانبه الواقعي رصد مجريات الأحداث في واقع الإنسان من حيث ما يعانيه من الإحباط النفسي والاجتماعي والاقتصادي(٤).

---

(١) وحيد أختر: السيد أحمد خان ورؤيته للدين ص ١٦٥

(٢) وحيد أختر: السيد أحمد خان ورؤيته للدين ص ١٧٠

(٣) يقول الجويني في تبيان حقيقتها: هي كل موجود سوى الله تعالى (راجع: لمع الأدلة في قواعد أهل السنة ص ٧٦)، وملكوته وملائكته هي عالم الشهادة بتعبير معاصر وهي الكون الفيزيقي، وبتعبير المتكلمين هي اللطائف التي هي الطبيعيات، والتي تعد أحد أقسام علم الكلام، وموضوعها الجسم والحركة والمادة في الزمان والمكان أي العالم الفيزيقي عالم العلم الطبيعي، وكما يقول محمد عابد الجابري: الطبيعيات لطائف لأنها: " دقيق الكلام" الذي هو مجال العقل وحده، مقابل "جليل الكلام" أي العقائد التي يفزع فيها إلى كتاب الله.

(٤) عبد المجيد النجار: واقعية المنهج الكلامي ص ٥

ومن الملاحظ أن الطبيعيات قد احتلت مكاناً بارزاً في علم الكلام، ولئن لم تكن من مشكلاته الكبرى، وكما أشار دي بور غلب النظر في الطبيعة على المعتزلة الأولين؛ حتى إن أبا عمرو الجاحظ(ت٢٥٥ه)، وهو من رواد النزعة الطبيعية في علم الكلام الاعتزالي لم يفته التأكيد على أن العالم الحق يجب أن يضم إلى دراسة الكلام دراسة العالم الطبيعي، وكان هو نفسه يصف دائماً أفاعيل الطبيعة[١]، ولقد أصبح العالم الطبيعي من وجهة نظر المتكلمين جواهر وأعراض مأخوذة من المذهب الذري القديم، وأصبحت الجواهر والأعراض هي الأنطولوجيا الكلامية، أو أساس تصورهم للطبيعة؛ فعن طريقهما أثبت المتكلمون هدفهم، وهو أن العالم متغير لتوالي الأعراض عليه، وبالتالي حادث أي مخلوق لله

إذن اللبنة الأولى لبناء الطبيعيات في علم الكلام كانت موجودة لكنها لم تنضج النضوج المطلوب والمواكب لمستجدات العصر وحاجته، وكانت عند فلاسفة المسلمين أكثر نضوجاً، لذلك يٌعد البحث في الطبيعة وتطور الوسائل والأدوات من وجهة علم الكلام الجديد، أهم ما ينادي به لتطوير وتحديث هذا العلم في الوقت الراهن؛ بل من أهم ما يميزه أن يجعل الطبيعة واستغلالها الحلبة الأولى لمعركة التفوق بين الحضارات[٢]، وتكون الأداة الفعالة في يد علم الكلام الجديد، وتكون بمثابة انتقال جذري إلى مرحلة جديدة التي أسماها حسن حنفي الانتقال من التنوير إلى التثوير، أو من العقيدة إلى الثورة، خصوصاً إذا أخذنا الدلالة اللغوية لهذه الكلمة بالإنجليزية لا بالعربية، التي تعني ثوري جذري ودوار، وأيضاً دورة كدورة الجرم السماوي في مداره...

إذن الثورة انتقال جذري إلى مرحلة أعلى آن أوانها لانتهاء المرحلة السابقة واستنفاد مقتضياتها، وهذا هو المقصود من علم الكلام الجديد،

---

(١) دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ٦٢

(٢) يمنى طريف: أمين الخولي والأبعاد الفلسفية ص ٩٢

فلنستوعب من تراثنا كيف يبزغ التفكير الطبيعي العلمي من ثنايا الفكر والإطار الديني[١].

المتأمل لهذا النحو من التفكير يتبين له أن الطبيعيات في علم الكلام كانت موجودة وبقوة، لكنا أصبحنا مستوردين لعلومها ونفورها من الأبستمولوجيا التي كانت وضع الطبيعيات في صلبها كفيلاً بتجديدها، وجعل تمحورها حول الألوهية لا يشكل عائقاً أمام تخلفها وتخلف حامليها[٢]، فتجديد علم الكلام بقطعية معرفية تستوعبه وتتجاوزه وتجسيد ذلك علمياً بوضع الطبيعيات في نظرية المعرفة وليس في نظرية الوجود، وهو ما يتطلب استيعاب ما تحقق في فلسفة العلم المعاصر من نفي للحتمية الذي هو أحد الآفاق الممكنة لتجديد الخطاب

ثامناً: إبراز الجانب الروحي: إن هذا الملمح يعني بصفاء الإنسان وذوقه، وكشفه، وغير ذلك من جوانب تهذيب النفس، وهذا جعل بعض الباحثين يبرزون التجديد من هذه الناحية، وظهر هذا بوضوح في أعمال محمد إقبال، في كتابه (تجديد التفكير الديني في الإسلام)، الذي صبغه بالصبغة الروحية، التي خلا منها علم الكلام القديم،[٣] وكأنه أراد أن يضفي على علم الكلام ما كان ينقصه ليكون مشتركاً بين الخواص العوام، ونجده في هذا الكتاب مزج بصراحة ووضوح بين الأوجه الثلاثة للفلسفة الإسلامية وهي الكلام والتصوف والمشائية.

تدعو فلسفة محمد إقبال إلى تبيان حقيقة مهمة وهي أن للروح مطالب كما أن للجسد مطالب ورغبات، وأن سلام العالم ورفاهيته يتوقفان على القيام

---

(١) حسن حنفي: من العقيدة إلى الثورة ٦٢٧/١

(٢) يمنى طريف: الطبيعيات في علم الكلام ص ٦٣

(٣) سنوسي سالم: سؤال الكلام الجديد في الفكر الإسلامي: ص ٣

بين حضارة الشرق وحضارة الغرب توفيقاً يضمن حريـــة إرادة الإنســـان وذاتيته الخاصة، وفطرته التي فطره الله عليها[١]

ولقد طرح مسألة المعرفة الدينية والرياضة الدينية، عن التصـــوف، وطرح البرهان الفلسفي على ظهور التجربة الدينية، وهــذا عـــن الفلســـفة، وخصص بعد ذلك الألوهية ومعنى الصلاة للكلام الإشراقي [٢]وفي جـــوهر هذا الكتاب، يُعد إقبال من المجددين في التفكير الديني، وهو أقرب إلى تفعيل الجدلية القائمة بين التجربة الدينية الذاتية، والتطور العلمـــي الموضـــوعي، أو ما عهدناه بالعلاقة الجدلية بين الدين والعلم، والدين والفلســـفة[٣]، ولقـــد استطاع محمد إقبال أن يكتشف للدين قاعدة تضاهي قاعدة العلم، وهـــذا مـــا أسعد المتدينين في وجه العلماء الماديين والملاحدة الذين دأبوا على التبـــاهي بانفراد العلم بالصدق واليقين[٤]

وبتأمل منهجية إقبال للتجديد تبين بوضوح اهتمامه بقضية الصلة بين العقل والعاطفة، وقضية التقدم والتخلف، وقضـــية الأصـــالة والمعاصـــرة، وقضية الموقف من ثقافة الآخر، وما الذي نأخذه منه، وما الـــذي نتركـــه، وكذلك ما الذي نأخذه من تراثنا، وما الذي نهمله وكيف نكون قوة فاعلة في العصر، طاقتنا الدين وجوهرها الإحسان[٥]، كذلك أنه لابد من إعداد الإنسان إعداداً خلقياً يؤهله لتحمل التبعة العظمى التي لابد أن يتمخض عنهـــا تقـــدم العلم الحديث وأن يردا إليه النزعة الإيمانية التي تجعله قادراً علـــى الفـــوز بشخصيته في الحياة الدنيا والاحتفاظ بها في دار البقاء[٦]

ثامناً: التجديد في اللغة: وهذا يتحقَّق بالانتقال مـــن لغـــة المتكلِّمـــين

(١) عاطف العراقي: الشاعر محمد إقبال وقضية التجديد ص ٣٩

(٢) مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، ص ١٢

(٣) مجدي عبد الحافظ: جمال الدين الأفغاني وإشكاليات العصر، ص٣٢

(٤) محمد كمال جعفر: النبض والحيوية في الفلسفة الدينية لإقبال ص ٤٦

(٥) خالد عباس أسدي: محمد إقبال قصائد محتارات ودراسات ص ٣٤

(٦) محمد إقبال: تجديد الفكر الديني في الإسلام ص ٢١٧

القديمة، ومعمياتها وألغازها، إلى لغة حديثة تُعبِّر بيسر وسهولة عن الدلائل، وكيف يفهمها المخاطب من دون عناء؛ لأنَّها لغة معاملاته وحياته اليوميــة، وقائد التجديد من هذه الناحية هو المفكر حسن حنفي،(١) لذلك فقد دعا إلـــى إدخال إصلاحات جوهرية على أساليب تعليم اللغـــة وقواعـــدها وآدابهـــا، وأساليب الكتابة فيها، وتأليف مجامع لغوية لمتابعة شؤونها، ووضع معـــاجم لغوية، ومعاجم علمية، والتأليف في ميدان الدراسات البيانيـــة، والدراســـات النقدية(٢).

والتجديد اللغوي يعمل على التخلص من بعض القلق، وعدم الوضوح في الاستعمال لبعض ألفاظ اللغة الجديدة كألفاظ الشعور والزمـــان والفعـــل والقصد، فهي ألفاظ عائمة لا تفيد معنى محدداً بل تفيد عدة معان متعارضة أو مضادة، والتجديد اللغوي ليس تغييراً لمضمون الفكر؛ بل تجديد لصورته وهي اللغة، واللفظ ليس إلا حاملاً للمعنى وموصلاً له، ولكن المعنى مستقل عن اللفظ، وأنه لا مشاحة في الاصطلاحات، وأن صلة المعنى باللفظ كصلة النفس بالبدن، أي صلة تميز واستقلال(٣).

وعلى سبيل المثال لا الحصر وتأكيداً لـــذلك يقـــول الـــرازي: " إن الدلائل التي ذكرها المتكلمون وإن كانت كملة وقوية إلا أن هـــذه الطريقـــة المذكورة في القرآن أقرب إلى الحق والصواب، ذلك أن تلك الدلائل دقيقـــة، وبسبب ما فيها من الدقة انفتحت أبواب الشبهات، وكثرت التساؤلات، وأمـــا الطريق الوارد في القرآن فحاصله راجع إلى طريق واحد وهو المنـــع مـــن

---

(١) لعل هناك قواطع مشتركة بين مفهوم التجديد اللغوي الذي يقصد منه تجديد مفاهيم الخطاب وطريقته وآليته من عصر إلى عصر، والتجديد اللغوي من حيث اللغة ومبانيها، والذي دعا إليه محمد عبده في منهجه الإصلاحي لذلك فقد دعا إلى إدخال إصلاحات جوهريتها على أساليب تعليم قواعدها وآدابها، وأساليب الكتابة فيها، وتأليف مجامع لغوية لمتابعة شؤونها، ووضع معاجم لغوية، ومعاجم علمية، والتأليف في ميدان الدراسات البيانية، والدراسات النقدية (رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده ١/١١).

(٢) رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده ١/١١

(٣) حسن حنفي: التجديد والتراث ص ١٠٩

التعمق، والاحتراز عن فتح القيل والقال...ومن ترك التعصب، وجرب مثل تجربتي علم أن الحق ما ذكرته"(١)، ويقول الغزالي: " فإن العبارات مباحة، والاصطلاحات لا مشاحة فيها"(٢)، ويقول أيضاً: " وإذا أنت أمضيت النظر، واهتديت السبيل، عرفت قطعاً أن أكثر الأغاليط نشأت من خلال من طلب المعاني من الألفاظ، ولقد كان من حقه أن يقدر المعاني أولاً ثم ينظر في الألفاظ ثانياً، ويعلم أنها اصطلاحات لا تتغير بها المعقولات"(٣)، ويقول الرازي: "هذه العبارات متفاوتة والمقصود شيء واحد"(٤).

ويوضح ابن حجر الهيثمي (ت٩٧٤ه) هذا المعنى قائلاً: " من استطاع أن يفهم غيره بالأوضح الذي يفهمه الكثيرون، لا ينبغي له أن ينحط إلى الأغمض الذي لا يفهمه إلا الأقلون، وإلا كام ملغزا، ومن ثم أخرج تعالى في مخاطباته حاجات خلقه في أجلى صورة وأوضحها ليفهم العامة ما يقنعهم أو يلزمهم الحجة بسببه، والخاصة ما يليق بهم من دقائق المعارف التي هي منتهى كل أحد ومبلغ إربه"(٥)

وبتأمل هذا الملمح تبين أهمية ومكانة التجديد في اللغة في ضوء المعاني السابقة، وأنه لا معتبر بالعبارات إذا صحت المعاني، حيث إن اكتشاف لغة جديدة، هو أحد السبل الموصلة للتطور، وقد نتج عن تلك الجهود دراسة اللغة علماً من العلوم، له ما لأي علم مستقل له موضوعه ومنهجيته(٦)، حتى وصل الأمر ببعض المفكرين أن عدّ البحث في اللغة ضرورة،" لكونها الوسيلة التي لا وسيلة سواها لنشأة المعرفة الإنسانية،

(١) الرازي: المطالب العالية من العلم الإلهي١/٤٣٦
(٢) الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٢
(٣) الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٣
(٤) الرازي: أساس التقديس ص ٤
(٥) ابن حجر الهيثمي: المنح المكية في شرح الهمزية ٢/٨١٣
(٦) محمود الشعران: علم اللغة ص ١١

وتكوينها وتطويرها، أو جمودها في بعض الحالات[١]، وهذا يعني أن اللغة قديماً أصبحت غير قادرة على إيصال أكبر قدر ممكن من المعاني، وذلك بتكييف المصطلح التقليدي وفقاً لإطار جديد"[٢]

رأي ونتيجة: بتأمل كل ملامح التجديد السالفة تظهر العديد من النتائج المهمة، والتي تتلخص في هذه النقاط التالية:

أولاً: استبدال المسمى أم الإبقاء عليه: من أهم النتائج التي ترتبت على هذه الملامح، هذا السؤال المهم: هل يطلق على علم الكلام – علم الكلام الجديد–، أم أنه يبقى على ما هو عليه؟، هناك العديد من وجهات النظر المتباينة حول هذه الجزئية، ولا يدعنا ونحن بصدد هذه النتيجة تناول المراحل التي مرت بها التسمية الجديدة، حتى يكون الحكم عليها واقعي، ومن ثم الوصول إلى نتيجة صائبة، يرى البعض أن شبلي النعمان هو الأسبق للتسمية، حين يرى آخرون أن فهمي جدعان كان من أوائل من صرح بهذا المصطلح، وذلك في كتابه (أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث)، وفي هذا يقول: " لقد أدرك بعض المفكرين المسلمين المحدثين إشكالية علم الكلام؛ فراحوا يبحثون عن علم كلام جديد يكون للتوحيد فيه وظائف جديدة، ويكون علماً محرراً للإنسان، وعلماً صافياً من الشوائب، وذلك بالتأكيد على أن المطلوب ليس هو العلم بالله، وإنما الاتصال به والتجديد، والصلة به عن طريق الدافع الداخلي الذي يجعل قلب المؤمن ينتفض ويسترد الحياة؛ فينتصر على الخمول والبطالة"[٣].

ولكنا نسجل هذه الحقيقة المهمة وهي: أن التعريفات التي أعطيت لعلم الكلام، قديماً، والتي دونها كتاب المقالات والفرق توضح غاية هذا العلم وهدفه، فهناك من ذهب إلى تغيير مسماه إلى فلسفة الدين، ولكن يظل التأكيد

(١) زكي نجيب محمود: تجديد الفكر العربي ص ٢٠٨
(٢) نعوم تشومسكي: آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، ترجمة عدنان حسن ص ٣٧
(٣) فهمي جدعان: أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث ص ٢٠١

على تسميته بعلم كلام جديد، فهو أقرب لفلسفة الدين منه إلى علـــم الكـــلام الجديد، حيث تمتاز الأولى بمنهجية فلسفية في قراءة الـــدين، تطـــل علـــى الظاهرة الدينية إطلالة محايدة(١)، وهناك من ثار علـــى التســـمية القديمـــة والتسمية الجديدة وهو أبو يعرب المرزوقي(٢)، وذهب إلى تســـميته بفلســـفة الدين، لكن هذه الرؤية جانبها الصواب فيما ذهبت إليه، ويُعد العالم الهنـــدي شبلي النعماني (١٣٣٢هـ) من أوائل من بحث مصطلح علم الكـــلام الجديـــد كعنوان لكتابه الذي نقله إلى الفارسية محمد تقي فخر داعي كيلاني وطبعـــه في طهران سنة ١٩٥٠م بنفس العنوان(٣)، وهذا لا يعني أنه المؤسس لهـــذا النمط من التفكير التجديدي، بل هو واحد من أصحاب المنظومـــة والـــذين أسهموا في هذا التجديد على مر التاريخ، وكان لكل وجهـــة تجديديـــة، وأن رسالة "الرد على الدهريين" لجمال الدين الأفغاني و"رسالة التوحيد" للشـــيخ محمد عبده " و"تجديد الفكر الديني" لمحمد إقبال و"الإسلام يتحدى" و" الإسلام في عصر العلم" لوحيد الدين خان "والأسس المنطقية للاستقراء" لمحمد باقر الصدر و "الظاهرة القرآنية" لمالك بن نبي وغير ذلك ... أعطت لهذا العلـــم معطيات جديدة تواءم مستجدات الحياة، وتسهم في حل مشـــاكل الإنســـان، وترسيخ العقيدة الصحيحة من خلال الرد على الشبهات الفلســـفية والعلميـــة الحديثة التي كانت تثار ضد الدين، ومواجهة موجة الإلحاد وإنكار الغيـــب، وكذلك الرد على شبهات المستشرقين التي تطعن في الإسلام، وترســـم لـــه ولأهله وأتباعه صورة نمطية تتنكر للعلم وتحارب العلماء من خلال محاولته التوفيق بين الدين والعلم وإظهار انفتاح الإسلام على العلم واحترامه العقـــل وتوقيره العلماء.

(١) العقلانية وعلم الكلام الجديد ص ٢٣

(٢) أبو يعرب المرزوقي: دروس في فلسفة الدين بديلاً عن علم الكلام ص ٢١

(٣) عبد الجبار الرفاعي: علم الكلام الجديد وفلسفة الدين ص ٢٦.

ثانياً: وظائف علم الكلام الجديد: إن النتيجة المثلى لهذا التجديد ترتكز حول وظائف جديدة لعلم الكلام تتمثل في ترسيخ العقيدة الدينيــة بأســلوب يناسب الحياة العصرية بكل جوانبها، وإقامة الأدلة المناسبة على تبيانها وفي ذات الوقت تشمل جميع البراهين المناسبة لمستجدات الحياة وأدوات المعرفة السليمة، وكذا الرد على الشبهات المستجدة في عصرنا، وكذلك ترسيخ فكرة التعايش مع الآخر واحتوائه وإظهار كل سمات وخصائص التسامح المنشود مع الموافق والمخالف في الفكر والمذهب، والقضاء على التعصب المذهبي بل احتوائه، مناقشة ومحاولة كل الأديان الأخرى، وطرح المسائل المتعلقــة بحقوق الإنسان وحقوق المرأة، والإرث والحقوق العامة للشــعب، بجــوار مباحث الكلام التقليدية، وتعــد هــذه الوظــائف بمثابــة التجديــد الشــامل والضروري والحتمي الذي لابد منه، والسر في ذلك أنّ الاهتمام بعلم الكلام وتطويره وتجديده، مقدّمٌ رتبة على التطــوير والتجديــد والاهتمــام بعلــوم الشريعة؛ لأنّ علم الكلام متقدّم رتبة على هذه العلوم.

ثالثاً: إزالة العوائق الكلامية: وهذه نتيجة مهمة للغاية مــن وجهــة نظري الشخصية، وذلك عن الطريق إزالة التقيد بحتمية المنهج القــديم فــي تناول مسائل العقيدة، وكذلك إزالة العائق المعرفي من خلال الكشــف عــن مقصود اللفظة أو المصطلح ، ليس في وضعه المجرد، وإنما فــي ســياق الجملة أو التعبير الذي يوجد فيه، وكذلك الكشف عن الســياقات التاريخيــة والفكرية للمصطلحات المستعملة؛ فالمبتدعة والمنحرفون والضالون ليســوا، في الواقع، إلا خصوما فكريين أو سياسيين لهذه الفرقــة أو ذلــك المــذهب أو ذلك النظام ممن كانت لهم فهــوم أو آراء أو مواقــف تخــالف الفرقــة أو النظام [١]، وإزالة مثل هذه العوائق وغيرها يعود بالثمرات العديدة لهــذا العلم والتي من أهمها القضاء على التعصب المذهبي تماماً، وتفويت الفرصة

(١) زبيدة: نحو غاية جديدة لعلم الكلام ص ١٢

على أعداء الخارج والداخل الذين تفويت يبثون سمومهم نحو تـــأجيج نـــار الفتنة حول التمذهب والتعصب الطائفي، ومن ثم الرجـــوع للخلـــف وعـــدم التقدم.

رابعاً: التجديد نقلة نوعية لعلم الكلام الجديد: إن التجديد بهذه المعاني يعمل على نقل علم الكلام نقلة جديدة، ويسهم كما ذكر عبد الجبار الرفـــاعي إسهاماً كبيراً إذا طال الأبعاد السالفة الذكر–الأهداف والموضوع و المنهج– فإننا " سنشهد ميلاد علم جديد مغاير تماما لسلفه، لأن أبعاد كل علم تشـــكل نسيجا متكاملا فيما بينها ويوحدها التأثير المتبادل، أي أن أي تحـــول فـــي أحدهما يستتبعه تحول في سائر الأبعاد، وهذا يعني تخلخل المنظومة السابقة للعلم، وحدوث منظومة بديلة يأخذ فيها كل بعد من أبعاد العلم موقعه الملائم ويعاد نظم المسائل في إطار يتسق والتحولات الجديدة في المسائل و الغايات و الموضوع و المنهج و اللغة و المباني، ومعنى ذلـــك تجديـــد "الهندســـة المعرفية لعلم الكلام"[1]

خامساً: التجديد لا يعني إهمال التراث وإلغائه: وهذا الأمـــر يُشـــكل حجر الزاوية، ولا يجب أن ننسى دور علم الكلام في مواجهة مشاكل حقيقية ألمت بالمسلمين في حياتهم الثقافية العَقَدية، متمثلاً في صد الغـــزو الفكـــري والعَقَدي التي تعرضت له العقيدة الإسلامية ابتداءً من أواخر القـــرن الأول، وتوطيد أيديولوجية إسلامية متينة ثابتة، والوقوف على هذه المنهجيـــة فـــي خاصيتها الواقعية مدخل أساسي لتقويم علم الكلام في مدى ما أسهم به فـــي تثبيت أيديولوجية إسلامية حفظت المسار الحضاري العام وفـــق متطلبـــات الوحي[2]

وأن مثل هذه الرؤى والمعالم السالفة لا تعني بالضرورة صـــلاحيتها في كل شيء، الواجب يفرض علينا تتبع الإيجابيات، والبعد عن الســـلبيات

---

(١) عبد الجبار الرفاعي: علم الكلام الجديد وفلسفة الدين ص ٢٥

(٢) عبد المجيد النجار: واقعية المنهج الكلامي ص ٢

الظاهرة بين الحين والآخر، منها على سبيل المثال أن بعض المجددين اعتمد بشكل مباشر على فلسفة العلم في الغرب، وعمل على توظيف معطياتها في تحليل المعرفة الدينية وتأكيد تاريخية هذه المعرفة، التي تنفتح على مختلف العلوم والمناهج الإنسانية المعاصرة، من دون أن تنتبه إلى أن هذه المناهج والعلوم ولدت في نسق حضاري مختلف لا يصح تعميمه خارج البيئة الغربية[١]، وأيضاً هناك تجاهل لحقيقة الخصوصيات الحضارية والثقافية في المعارف الإنسانية، والمنهجيات البحثية، الأمر الذي يتجاوز نطاق التفاعل الحضاري، ويدخل في باب التبعية والتقليد، فضلاً عن تجاهل الفروق في الفكر.

كذلك فإن القول بأنسنة القضايا لا يعني تحويل الدين والعقائد إلى فكر إنساني، وتفريغ الإسلام من القضايا الغيبية، وهذا ما أقره غير واحد من الباحثين والمفكرين أمثال محمد أركون ومن سلك مسلكه؛ فقد ذهب أركون إلى أن القرآن الكريم " ذو بنية أسطورية متعالية، وهو نص خال من الحقيقة"، وقابل للتأويل ويقبل التأويل، وبنص عبارته: " فالقرآن كتاب ينص على التأويل، ويقبل التأويل، ولا يكتنه إلا بالتأويل، فهو نص تأويلي، أو لنقل نص التأويل بامتياز"[٢].

---

(١) عبد الجبار الرفاعي: الاجتهاد الكلامي: ص ١٣٠

(٢) المدرسة الفكرية المعاصرة في تفسير القرآن ص ٤

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبنوره تشرق الأرض والسماوات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وبعد: فإنّ علم الكلام كأيٍّ علم من العلوم شهد تحوّلات وتطوّرات عديدة عبر التاريخ، فتراجع في فترة ما، وشهد تنامياً في فترة أخرى، وهذا أمرٌ طبيعي جداً، لكنّنا إذا أردنا اليوم أن نشهد تطوّر الكلام الإسلامي مجدّداً فعلينا أن ندرك أن التجديد في علم الكلام قضية مهمة وحتم لابد منه، فتجديد الفكر عامة يقتضي تخليصه من الشوائب التي عرضت له في صيرورته التاريخية، بحيث لا يتبقى فيه إلا ما يجعله متوافقاً مع ما يستجد من الأحداث والأفكار، مع التمسك بما فيه من مقومات جوهرية لا يصح التفريط فيها، وتجديد علم الكلام خاصة يكون في المنهج أو الوسائل، لا في الثوابت، مع المحافظة على الدليل الشرعي المنبثق من القرآن والسنة، ولا شك أن لعلم الكلام بمختلف مدارسه واتجاهاته، أهمية بالغة في الحفاظ على العقائد الدينية الإيمانية، والرد على مختلف الشبهات التي أثيرت حول العقائد الدينية، رغم مناهضة بعض الفقهاء ورجالات الحديث له، والحق أن هناك العديد من الملاحظات المهمة التي لابد أن نتداركها إذا ما أردنا لهذا العلم التجديد والتحديث والتطوير، وهذه المآخذ في مجملها تُعد من أهم بواعث التجديد في علم الكلام، فضلاً عن غيرها من البواعث، حتى بات تجديد علم الكلام من الضرورات الملحة التي تفرضها الرؤية المعاصرة نحو التقدم والبناء العقدي والإنساني، والتجديد له ضوابط ومعايير لابد من التقيد بها، وعدم الانحراف عنها قيد أنملة، وإذا ما تقيدنا بهذه الضوابط والمعايير تحقق الهدف وكتب لهذا التجديد النجاح وأصبح له ثمرة، وملامح التجديد كثيرة ومتنوعة منها ما يتعلق بالمفهوم، ومنها ما يتعلق بالمنهج، ومنها ما يتعلق بالمسائل والقضايا، ومنها ما يتعلق باللغة، ومنها ما يتعلق بالهدف والغاية، وهذه الملامح تظهر العديد من النتائج المهمة في تطبع علم الكلام الجديد مع الواقع، ومجابهة العديد من الفلسفات المادية، ومثل هذه الرؤى والمعالم لا تعني بالضرورة صلاحيتها في كل شيء، الواجب يفرض علينا تتبع الإيجابيات، والبعد عن السلبيات الظاهرة بين الحين والآخر.

ثبت المصادر والمراجع

١.ابن حجر: أحمد بن محمد الهيثمي: الفتاوى الحديثة، دار الفكر، بدون تاريخ.
٢.ابن حجر: أحمد بن محمد الهيثمي: المنح المكية في شرح الهمزية، بدون تاريخ.
٣.ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، دار يعرب، ٢٠١٢.
٤.ابن رشد: الوليد محمد بن أحمد، تهافت التهافت، تحقيق: سليمان دنيا، ط: (١) دار المعارف، سنة ١٩٦٤م.
٥.ابن رشد: الوليد محمد بن أحمد، مناهج الأدلة في عقائد الملة، تحقيق وتقديم: محمود قاسم، مكتبة الإنجلو المصرية سنة ١٩٦٤م.
٦.ابن عساكر: علي بن الحسن، تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، القدسي دمشق سنة ١٩٢٩م.
٧.ابن فارس: أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، ط: دار الفكر سنة١٩٧٩م.
٨.ابن منظور: محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر بيروت، بدون تاريخ.
٩.أبو الحسن الندوي: النبوة والأنبياء في ضوء العقل والنقل، بيروت ط: (١) بيروت، سنة ١٩٩١م.
١٠.أبو الحسن الندوي: منهاج الصالحين عقيدة وسلوك، بيروت، سنة ١٩٩٤م.
١١.أبو القاسم حاج حمد: جدلية الغيب والإنسان، مراجعة: محمد العاتي، دار الهادي للطباعة والنشر، سنة ٢٠٠٣م.
١٢.أبو القاسم حاج حمد: منهجية القرآن المعرفية، مراجعة: محمد العاتي، دار الهادي للطباعة والنشر، سنة ٢٠٠٤م.
١٣.أبو حنيفة: العالم والمتعلم، تعليق: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، بدون تاريخ.

١٤.أبو يعرب المرزوقي: دروس في فلسفة الدين بديلاً عن علم الكلام، بدون تاريخ.
١٥.أبوداود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق: السنن، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط: (١)، سنة ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م
١٦.أحد فرامرز قراملكي: الهندسة المعرفية للكلام الجديد، بدون تاريخ.
١٧.أحد فرامرز قراملكي، تحليل مفهوم التجدد في الكلام الجديد، ترجمة: حبيب فيَّاض، بدون تاريخ.
١٨.أحمد كمال أبو المجد: حوار لا مواجهة من أجل طرح جديد لقضايا علم التوحيد، القاهرة، بدون تاريخ.
١٩.أكبر قنبري: التجديد في علم الكلام، بدون تاريخ.
٢٠.الإمام أحمد بن حنبل: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، جمع: عبد الإله بن سلمان، دار طيبة، الرياض، سنة ١٩٩١م.
٢١.إميل بوترو: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٧٣م.
٢٢.أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، دار المعرفة، سنة ١٩٦١م.
٢٣.أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت، بدون تاريخ.
٢٤.الإيجي: المواقف في علم الكلام، القاهرة بدون تاريخ.
٢٥.برهان غليون: الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، بدون تاريخ.
٢٦.البيضاوي: طوالع الأنوار من مطالع الأنظار، القاهرة، بدون تاريخ.
٢٧.التفتازاني: سعد الدين، تهذيب المنطق والكلام، تحقيق: عبد القادر معروف الكردي، دار السعادة بمصر، سنة ١٩٣٢م.
٢٨.التفتازاني: سعد الدين، شرح العقائد النسفية، تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، بدون تاريخ.

٢٩.الجاحظ: عمرو بن بحر، الحيوان، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ.

٣٠.الجرجاني: علي بن محمد بن علي الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م

٣١.الجويني: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف (ت٤٧٨هـ): الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق: د. محمد يوسف موسى، مطبعة السعادة مصر سنة ١٩٥٠م.

٣٢.الجويني: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف(ت٤٧٨هـ): لمع الأدلة في قواعد أهل السنة، تحقيق: فوقية حسين محمود، عالم الكتب – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م

٣٣.الحاكم: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه: المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠

٣٤.الحسان شهيد: نظرية التجديد الأصولي من الإشكال إلى التأصيل، بدون تاريخ.

٣٥.حسن الترابي: هل الفكر الإسلامي يتجدد، السودان بدون تاريخ.

٣٦.حسن حنفي: التجديد والتراث، مؤسسة هنداوي، مصر، بدون تاريخ.

٣٧.حسن حنفي: من العقيدة إلى الثورة، ط: (١)، دار التنوير للطباعة والنشر، سنة ١٩٨٨م.

٣٨.حيدر حب الله: مسألة المنهج في الفكر الديني، مؤسسة الانتشار العربي، بدون تاريخ.

٣٩.خالد عباس أسدي: محمد إقبال قصائد مختارات ودراسات، بدون تاريخ.

٤٠.دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة: محمد أبو ريده، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بدون تاريخ.

٤١.الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م
٤٢.الرازي زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر(ت٦٦٦ه): مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م
٤٣.الرازي: فخر الدين محمد بن عمر: أساس التقديس، دار نور الصباح لبنان، سنة ٢٠١١م.
٤٤.الرازي: فخر الدين محمد بن عمر: المطالب العالية من العلم الإلهي،
٤٥.الرازي: فخر الدين محمد بن عمر: مناقب الإمام الشافعي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٩٨٦م.
٤٦.زبيدة طلبية: نحو غاية جديدة لعلم الكلام، بدن تاريخ.
٤٧.زكي نجيب محمود: تجديد الفكر العربي/ مؤسسة هنداوي، سنة ٢٠١٨م.
٤٨.سنوسي سالم: سؤال الكلام الجديد في الفكر الإسلامي، بدون تاريخ.
٤٩.سيف الدين عبد الفتاح: التجديد السياسي والخبرة الإسلامية، بدون تاريخ.
٥٠.السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر: الجامع الصغير، بدون تاريخ.
٥١.السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام، تحقيق: علي سامي النشار، سعاد علي عبد الرازق، مجمع البحوث الإسلامية.
٥٢.شمس الدين: محمد بن أبي العباس أحمد الرملي(ت١٠٠٤): غاية البيان، دار المعرفة – بيروت، بدون تاريخ.
٥٣.الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير(ت٣٦٠ه): المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة

٥٤.عاطف العراقي: الشاعر محمد إقبال وقضية التجديد، القاهرة، بدون تاريخ.
٥٥.عبد الجبار الرفاعي: علم الكلام الجديد وفلسفة الدين، مكتبة الفكر الجديد، بدون تاريخ.
٥٦.عبد الجبار الرفاعي: الاجتهاد الكلامي مناهج ورؤى متنوعة في الكلام الجديد، دار الهادي، بدون تاريخ.
٥٧.عبد الحميد مدكور: التجديد في العلوم الدينية، علم الكلام أنموذجاَ، المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة بالقاهرة، العدد السادس عشر، سنة ١٩٨٧م.
٥٨.عبد الرحمن بدوي: مذاهب الإسلاميين المعتزلة والأشاعرة والإسماعيلية، دار العلم للملايين بيروت، سنة ١٩٩٧م.
٥٩.عبد الرحمن طه: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، المغرب، بدون تاريخ.
٦٠.عبد الله الأنصاري: ذم الكلام وأهله، تقديم عبد الله بن محمد، مكتبة الغرباء الأثرية، بدون تاريخ.
٦١.عبد الله السيد ولد أباه: تجديد علم الكلام من منظور فلسفات التأويل والعلوم الإنسانية المعاصرة، ٢٠١٨م.
٦٢.عبد المتعال الصعيدي: المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر، مكتبة المهتدين، سنة ١٩٩٦م.
٦٣.عبد المتعال الصعيدي: المجددون في الإسلام، مكتبة الآداب، القاهرة، بدون تاريخ.
٦٤.عبد المجيد النجار: واقعية المنهج الكلامي ودورها في مواجهة التحديات الفلسفية المعاصرة، ٢٠١٧م.
٦٥.العقلانية وعلم الكلام الجديد، مجموعة من المؤلفين، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ٢٠٠٨م.
٦٦.علم الكلام وضروريات النهضة ودواعي التجديد، تصدر عن مجلة الحياة الطيبة، لبنان–بيروت، بدون تاريخ.

٦٧.عمر عبيد حسنه: مقدمة كتاب الأمة، سلسلة فصلية تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بقطر جهة الإصدار: وزارة الاوقاف القطرية ٢٠١٨م.
٦٨.الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥ه) الاقتصاد في الاعتقاد تحقيق: إنصاف رمضان، ط: (١) دار قتيبة للطباعة والنشر، سنة ١٤٢٣ه-٢٠٠٣م.
٦٩.الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥ه) إلجام العوام عن علم الكلام، بدون تاريخ.
٧٠.الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥ه) المنقذ من الضلال، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة بدون تاريخ.
٧١.الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥ه) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، مكتبة الحرمين الرياض سنة ١٩٩٣م.
٧٢.الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥ه)، إحياء علوم الدين، دار ابن حزم بيروت، ط (١)١٤٢٦ه ٢٠٠٥م.
٧٣.الغزالي: محمد عقيدة المسلم، نهضة مصر للطباعة والنشر، بدون تاريخ.
٧٤.الفارابي: أبو نصر، إحصاء العلوم، دار الفكر العربي، سنة ١٩٤٨م.
٧٥.فهمي جدعان: أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، دار الشروق القاهرة ٢٠٠٨م.
٧٦.الفيومي: أحمد بن محمد بن علي الفيومي (المتوفى ٧٧٠هـ) المصباح المنير في شرح غريب الكبير، المكتبة العلمية – بيروت
٧٧.الكمال بن الهمام: المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة، المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة، بدون تاريخ.
٧٨.الكندي: إسحق بن يعقوب: الرسائل الفلسفية، تحقيق: محمد أبو ريده، القاهرة، بدون تاريخ.
٧٩.مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، محمود محمد شاكر محمد عبد الله دراز، دار الفكر، سنة ١٩٩٨م.

٨٠.مالك بن نبي: مشكلات الحضارة، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، سنة ١٩٩٧م.
٨١.مبارك حسين: علم التوحيد في ضوء العقل والنقل، مكتبة الأمانة القاهرة، سنة ١٩٩١م.
٨٢.مجدي عبد الحافظ: جمال الدين الأفغاني وإشكاليات العصر، المجلس الأعلى للثقافة سنة ١٩٩٧م.
٨٣.محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي القاهرة، بدون تاريخ.
٨٤.محمد أركون، الفكر الإسلامي ـ قراءة علمية ـ ترجمة هاشم صالح، المركز الثقافي العربي، سنة ١٩٩٦م.
٨٥.محمد إقبال: تجديد الفكر الديني في الإسلام، ترجمة: محمد يوسف عدس، دار الكتاب المصري، القاهرة، سنة ٢٠١١م.
٨٦.محمد باقر الصدر: موجز في أصول الدين، دار الهادي للطباعة والنر،٢٠٠٦م.
٨٧.محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، دار الفضيلة، الطبعة الثانية، سنة ٢٠٠٦م.
٨٨.محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، مطبعة المنار، مصر سنة ١٩٠٦م.
٨٩.محمد رمضان عبد الله: الباقلاني وآراؤه الكلامية، مطبعة الأمة بغداد سنة ١٩٨٦م.
٩٠.محمد عابد الجابري: وجهة نظر نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر، سنة ٢٠١١م.
٩١.محمد عبده: الإسلام دين العلم والمدنية، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر، بدون تاريخ.
٩٢.محمد عبده: رسالة التوحيد، سلسلة قضايا إسلامية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية مصر، العدد ١٧٣ سنة ٢٠٠٩م.